التربية الفنية
والنهضة الاجتماعية

تأليف
عبد الرحمن الصديق



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] ، ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٨] .﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٧-١٠] .

وكلُنا معنيون بالقيام بمسئولياتنا ، وبالنظام والنظافة والتجميل والترتيب وصنع الخير وبذل المعروف ، وعند الملمات والمفاجآت يخف البعض القليل الجاهزون بالشهامة والشجاعة لحسم الأمور وصنع المعجزات ونجدة الملهوف وغوث المستغيث حتى ولوْ بذل النفس من أجل المبدأ وجلال الموقف يدفعه جوهره الراقى النادر ـ هذا الجوهر الذى يندفع به الجندى البطل ليفتدى وطنه وبنى وطنه بحياته في ساحة الوغى على أرض بلاده .

كذلك الأعمال العظيمة يصنعها القليلون ـ أما الأكثرية فمتفرجون هيابون ، منهم المترددون ومن يجبنون ويتساءلون ويثرثرون كأن الأمر لا يعنيهم ، كأنهم يتفرجون على مسرحية ـ فالذى يشق الزحام ويسبق ويسدد الرمية غير الذى يتراجع ويشق الزحام من الجانب الخلفى ليلوذ بجلده هربا من المسئولية ، لا خير فيه وليتهُ لم يولد ـ والمراد هنا أن تزداد إمكانات الشجاعة والجوهر العظيم لدى الجميع ما أمكن ، والله المستعان .

المؤلف

عبد الرحمن الصديق

تمهيد

من أنا ؟!!

طفلٌ لم يبلغ السادسة من عمره .. يجرى ويقفز ويتصايح ، يسقط وينهض ويسابق أقرانه .. وبعد فترة يدخل المسكن .. ويتصادف أن ينظر أمام صفحة مرآة دولاب الملابس ويتوقف عن الحركة للحظة ، وينظر في عينية ويحرك عضلات وجهه ويصرخ ويضحك ويتباكى ، ثم يُحَدِّثْ هذا الوجه الذى أمامه: من أنت ؟ من أنا ؟ .. هل أنت أنا ؟ أم أنت شخص آخر ؟ .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟ ويشعر بدوامة ودهشة وبغتة ، ولا يستطيع أن يستمر في التساؤل والحوار أمام نظيره في المرآة ، ويجذب نفسه ويبتعد حيث صادف الأمر نداءً من أمّه تدعوه لتبديل ملابسه بعد الاستحمام إزالة لما قد ألم به من أتربة وقت اللعب .. فينصاع للأمر حيث أن هذا الإجراء عادة يحدث كل يوم .

وينظر لأمه حينًا ويفكر في أبيه الذى يوشك أن يحضر من عمله بعد قليل .. هذه أمّى أنا ، وذاك أبى أنا ، وزملائى في اللعب ـ كلٌ منه له أُمْ وأب وبيت. وكلٌ وحظّه .. ذاك الطفل الذى يلعب الكرة معى وجهه ليس كوجهى .. هناك اختلاف ولو بسيط .. ووالده جزار ووالدى تاجر فاكهة ووالدته تختلف عن والدتى في قليل أو كثير .. وبيته أو مسكنه يختلف عن مسكنى الذى آوى إليه في قليل أو كثير .. كلٌ وحظّه .. ربما أتمنى أنا أن يكون مسكنى هذا بغير حالته وأن يكون أبى أفضل قليلاً أو كثيراً مما أرى فيه وأن نعيش في كثير من الثراء مثل حالة زميلى ذلك أو ذاك ولكنى لا أستطيع أن أترك مسكنى ولا أتنصل من أبى وأمى فأنا منحاز لهما على حالهما وأتوافق في حالنا وبيتنا هذا ومع شكل وجهى هذا ومع كل ظروفى هذه بل وأفتخر بأبى وببطولاته ونوادره التى يحكيها لنا أحيانا وبطولات آبائه وأجداده وأفتخر ببيتنا وجماله والخيرات فيه ، والمأكولات التى قد أصبناها وتمتعنا بها مما لم يتمتع بها سوانا فنحن الأفضل والأسبق .. وكل طفل من أقرانى يُعدِّد ويتفاخر بحاله هو الآخر ، كلٌ يؤكد ذاته وظهوره ويزهو بحكاياته الحقيقية والمختلقة والخيالية كل يقول ويؤكد .. أنا .. أنا .. كل يريد أن يكون صانع المجد ونجم النجوم .. يدرج سلم الحياة .. يؤكد أنه وآله

صانعوا المعجزات حتى لو لم يكن أبوه سوى « شحات » !! .

أين أنا ؟!!

هل أنا أنا حقيقة ، أم أننى أحلم ؟ .. هل أنا حقيقة أعيش وافكر وأحتل مكانى هذا في هذه البلد ضمن هذه الدولة وهذه القارة أم أننى أمرُ مرَّ السحاب؟ وأستخدم وخزا شديدا على جلد يدى وأصرخ ويأتى من داخل البيت من يسمعنى ليغيثنى وأخرج بعد أن تأكدت أخيرا أننى موجود بشكلى هذا في هذا البيت وهذه القرية ضمن هذه الدولة ـ التى أنتمى إليها وأعتز بها ـ ضمن الكرة الأرضية التى تقطنها البشرية كلها والتى أنا أحد أفرادها !! .. ولا يتوقف تفكيرى .

ما هو المطلوب منى؟

واجبات سهلة ، منها أن أصحو في الصباح وأؤدى الصلاة التى علمونى إياها .. وأتناول الإفطار في وقته .. ثم الغداء في الظهيرة في وقته .. ثم العشاء في المساء في وقته . ثم في المساء بعد السهر والسمر نخلد إلى الراحة بالنوم حتى الصباح التالى وهكذا ـ غير أن هناك جزئيات تكون تحت ملاحظة الأهل وتحت ملاحظة ضميرى الفطرى ـ التى قالوا إن الدين الذى ننتمى إليه يُكلفنا بها ـ ولا تصح طاعة الله ـ خالقنا ـ إلا بها ، وهى الصدق والأمانة والنظافة والرحمة للضعفاء بل والنفس بل والجميع ـ والتعاون في الخير ومساعدة المحتاجين والبعد عن البذاءة في القول والعمل ، وتعمير الكون من حولنا بالجمال ، والقراءة والتعليم والدفاع عن الوطن وخدمة المجتمع والمحافظة على البيئة من التلوّث وعدم إلحاق الضرر والأذى بصفة عامة بالناس وبسائر المخلوقات والممتلكات .

وأقول لنفسى : إنها واجبات كثيرة جداً يعجز عنها الحصر ، وأسألهم فيقولون : إن الإنسان الصالح ـ مثالى ـ مبرمج على اتباعها ، فهو يتعامل بها بشكل فطرى .. كالتنفس : الشهيق والزفير ، فإذا مر في هواء الشهيق أو الزفير غبار كثيف أو قطع من طعام ـ انزعج وكانت هناك حالة طوارئ حتى تهدأ الأمور وتعود حركة التنفس إلى سلاستها وانسياباتها ـ وتلك هى التعاملات .. فكل التفاصيل الجميلة الدقيقة في القول والعمل بل والتلميحات والإيماءات

نتناولها بشكل عادى تلقائى ، فإذا ما اعترضنا أمرٌ لا نستسيغه لبذاءته أو لعدوانيته دقت أجراس الإنذار من داخلنا وحالة الطوارئ لتسوية هذا الموقف وإبعاد سلوك العدوان الذى قد طرأ لتعاود الأمور الكريمة سلاستها والتى تواكب مستوى كرامة الإنسان العظيم الذى عرفت أنه بعقله هو أفضل المخلوقات والمسئول عن صنع الفضيلة والجمال والأمانة والعدل بعقله وعمله في هذا الكون ، وإنه لا يعيش ليأكل الوجبات الثلاثة فقط ، هو يأكل ليحافظ على صحته ويؤدى سائر مسئولياته الهامة ، تلك المسئوليات والأمور الفطرية الدقيقة التى أشرنا إليها والتى تُصفِّى المعاملات وتنساب منها التعاملات الجميلة من ضمير الإنسان ببساطة هى التربية .. الإنسان « المتربى » هو كريم الخصال والسجايا والسلوك .. يبتعد عن السيِّء .. ينفر من البذىء ويلتزم بالحق والخير والجمال ، وكلما نقص من الإنسان الالتزام وسمحت مصفاة نفسه بأن يمر منها المساوئ وحصوات الرذائل ، كلما كان هذا إشارة إلى سوء التربية وأنه لم يتلق ما ينبغى من قدوة السلوك وهو يدرج سلم الحياة ولم يجد الأسرة التى يأخذ عنها العناية والقدوة .. ولا يكون مكانه في الصفوف الأولى من الرقي كمسئول وقيادى وقائد لمجتمع صالح .



طوفان العلوم والمعارف والأبحاث

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٨].

فلا يوجد أكثر من الكتب والمطابع والمكتبات والجامعات والمعاهد العلمية والمدارس ومؤسسات الأبحاث .. وكل دقيقة بحث جديد وعلم جديد واكتشاف جديد ومعرفة جديدة يختص بها الإنسان فقط دون سائر الأمم المشار إليها في الآية القرآنية الكريمة ـ بل إن الإنسان لديه من الأبحاث عن علوم عالم الحيوان وعالم الحشرات وكل المخلوقات الدقيقة ـ في حين أن تلك المخلوقات ـ سوى الإنسان ـ لا تكتب ولا تقرأ ولا تبحث بل تخدم الإنسان ـ مما يؤكد خطورة مسئولية الإنسان الذى تحيطه كل هذه النعم والكرامات ومن نافورات العلم التى لا يحصى عددها : علوم الجمال وعلوم الكلام بل وتفاصيل هذه الأمور مما قد أُفردت المعاهد والأكاديميات لها .. وتصميم الأزياء وتنسيق المدن وتصميم وتنسيق الحدائق وتصميم المركبات وطب التجميل .. والمسرح والتصوير الضوئى وعلوم الفنون التشكيلية وفنون التمثيل وتكنولوجيا السينما والموسيقى وعلوم التربية الفنية ، والتى يُعنى بها هذا الكتاب بصفة خاصة ـ ومع زيادة العلوم ـ هذه الينابيع والنافورات والطوفانات ـ لا يوجد من العلماء من قد استطاع أن يحيط بكل العلوم فظهر أمر التخصص ـ ليس في فرع واحد من علم ـ بل في جزء واحد من أجزاء الفرع ـ ومثال ذلك التخصص الطبى في جزء من أمراض العين ، فهذا طبيب تخصصه مثلا في جراحة العين اليمنى وذاك تخصصه في الرئة اليسرى وكل معهد لا يستطيع أن يعرض لكل فنون العمل في فرعه فيتخصص في جزء من فرع مثل معهد لتصميم أزياء المرأة العاملة ، ومعهد لتصميم وتنفيذ مفروشات صالونات الاستقبال .

ومع زيادة الرفاهية في وطننا زاد الاهتمام بالفنون وكليات الفنون ومواد الفنون في المدارس ومن ثمَّ انتشرت الفنون كضرورة اجتماعية في البيوت والشوارع والأزياء والمركبات وشاعت في كل جنبات الحياة !! .

الفنُّ

يقول الله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٤٦-٦٠]

فالفن مفرد أفنان ـ كما جاء في الآية والله أعلم ـ الغصن الأخضر المتفرد ليس كالخميلة فالأخيرة تتشابك مع سواها وكل منهم أغصان عديدة تعتمد على سواها ليس لأى منها شخصية خاصة ولا فردية مميزة ، والفنان : المتحرر المنطلق المسرع .

ويقال: الفن النوع الخاص ، وصانع الفن يقال: فنانٌ أو مفنٌ .. صفة للتألق والنجومية والإبهار منتهى الحذق واللياقة والأستاذية .. والعمل الفنى هو العمل الذى أبدعه الفنان ليس مستمداً من جهة أخرى بالغش أو الاقتباس أو الاحتيال « ولا يعنينا هنا التسمية التى تطلق على الحمار الوحشى باسم الفنان ـ حيث يرد هذا في بعض المراجع بصفته سريع الانطلاق ـ وإن كان الحمار الوحشى جميل كالغزال متفرد في لياقته وقوّته » .

وصفة الفن تطلق على مجالات لا حصر لها في مؤسسات علمية وتربوية عريضة في جميع أنحاء الدنيا ، وفي مصر كمثال نجد كليات التربية الفنية ـ متحف الفن ـ كليات الفنون المسرحية ـ كليات الفنون التطبيقية ـ كليات الفنون الجميلة ـ المعهد الفنى ـ الشئون الفنية ـ الكلية الفنية العسكرية ـ الفن المصرى القديم ـ أكاديمية الفنون و Faculty of arts « فنون الآداب أو الآداب كفنون » .

ولدى تصنيف الكتب في المكتبات العامة والمدرسية تطلق لفظة الفن على كل تخصص منها .

فالفن هو القبسة المستلهمة المستقلة التى تتنزه فكرتها عن الاقتباس والنقل المجرد والانتحال أو الشبهة فهو خلق جديد مبهر ، جوهرة أصيلة يستحق صاحبها النجومية .

فالعمل الفنى ضمن التربية الفنية يساعد الطالب على أن يفتح أبواب أفكاره وتأملاته وإمكانات إبداعه الواعدة ليتمتع بتوظيف عقله وفكره وخياله في أعمال الابتكار والاختراع والتجديد والخلق وصنع المعجزات Creation وإن الاهتمام بالأمور التشريحية في مجال الرؤية الفنية يكسب الطالب انطباع وضع الأمور في نصابها وأحجامها في سائر أحكامه وأعماله في الحياة .

وبالنسبة للفن كتخصص وإبداع وفكر مستلهم من فكر الفنان ذاته ، فقد سبق ديننا منذ القدم يدعو إلى الأمانة ثم الإتقان للعمل كما دعا طبعا لأتباع العدل والحق والخير والجمال وإبعاد الأذى من القول والعمل والفنون لا شك دعوة للجمال والتنسيق والإبداع - وليست الفنون الجميلة مسألة ركن من أركان المعرفة فقط ولكنها مسألة حياة اجتماعية وتربية راقية وسمو فكرى ونفسى ، وعندما يكون العمل الفنى ضعيفا في عناصره - يعرف ذلك الناقد الحاذق - يدل على ضعف صانعه النفسى أو الفكرى والعكس بالعكس ، وعندما تكون الفنون في عصر من العصور ضعيفة دل ذلك على ضعف هذا العصر اجتماعيا وحضاريا والعكس بالعكس ، فالفنون بالتأكيد لا يمكن فصلها عن شرايين دولاب الحياة الاجتماعية فهي القيمة والمقياس و « الترمومتر » لحياة كل أمة بل إن الفنون هى الفارق بين الإنسان المتحضر والآخر البدائى الهمجى لا أريد أن أقول (بين الإنسان والحيوان) ليس تعصُّبا بل هي مسألة منتهية - فهندما تزدهر الفنون يدل هذا - كما قلنا - على قيمة العصر الذى أخرج هذه الفنون .. والفنون هي العمارة والتصوير « الرسم » وسائر الفنون التشكيلية والمسرح والآداب والعلوم والموسيقى وسائر أعمال الجمال والإبداع والابتكارات والتجديدات على كوكبنا .

أدب الفن

كل إنسان من بنى آدم لديه الأساس الفنى ويمكنه أن يبدع ، وتنمو

الأساسيات لديه وتزدهر بحسب التنشئة والبيئة والظروف الاجتماعية ، والإبداعات التى نعنيها ليست من الفنون فقط بل في سائر العلوم والبحوث والاختراعات فكلها فنون وكل جيل يفيد من أفكار ما قبله ويزيد عليها ويبحث ويقدم نتائج أخرى حتى وصل الأمر الآن أن يخرج إلى النور على مدى الـ ٢٤ ساعة يومياً كتاب أو بحث أو اختراع كل دقيقة واحدة على كوكبنا الذى هو بيت سكان العالم .. الأرض .

والفرق بين المبدع وسواه هو أن المبدع قد واتته الظروف واستخدم فكره ومعطياته وإمكاناته ليسمو ويتأمل ويحترم آدميته وكرامته ويسبق ، أما الآخر قد احتوشته الظروف ووقع في أسرها كالذى يظل يعجن الطين بقدميه ليخرج أو ينجو ولا نحسبه ينجو إلا بمعجزة ويظل محسوباً على الإنسانية والبشرية يرهق ثقله سفينة الحياة بجموده وهيهات أن يتحمل شيئا من مسئوليته .

وهذه الإبداعات والفنون والاختراعات والحضارات التى اكتشفناها ونفخر بها على مر الزمان هي من الكنوز المخبوءة التى قد هدانا خالقنا إلى التنقيب عنها والبحث عنها واجتلابها وتهذيبها وترتيبها وتهيئتها ونقدمها لأنفسنا ولسوانا ، وكلما تعاقبت الأجيال كلما ازدادت اكتشافاتنا من هذه الكنوز !! .

الرسم والتربية الفنية

كلمة الرسم نتناولها في حياتنا أو نسمعها عندما تكون هناك دروس للتربية الفنية بالمدرسة فنقول: إنها حصة رسم أو كراسة الرسم وهذا مدرس الرسم ـ ونسمع كذلك أن فلاناً مجنون رسمى ونتضاحك على هذه الكلمة وهناك مرسوم ملكى أو بصفة رسمية أو مدير المراسم أو أن الأب رسم لولده الطريق أو رسم الخطة أو هذا الشخص ترسم الخطى اتباعا لوالده ، وهناك ولد اسمه رسمى وهناك فتاة اسمها رسمية ـ يقال: إنها مرادفات للتقدير والتقديس والعناية واكتمال الأمر ، وهناك في شباك خزانة المؤسسة مطلوب سداد الرسوم وهي الحقوق المقدسة التى تماثل الخدمة التى تلقاها طالب الخدمة .

ورغم تغيير التسمية منذ خمسين سنة وأكثر ـ من دروس الرسم إلى دروس التربية الفنية ـ إلا أن البعض الذين لا يستوعبون التسمية الجديدة ـ التى دخلت

ضمن المناهج منذ أقل من مائة سنة وهي الرسم ـ ما زالوا ينادونها بالرسم كتسمية أسهل وأسلس في النطق من لفظة التربية الفنية والتى يصعب حتى تفسير معناها على العامة .

وقد سبق التنويه عن المعنى المتاح لكلمة التربية فإذا زدنا عليها لفظة«الفنية » يقولون: إنها التربية عن طريق الفن ، ويقولون إنها تجميل التربية أو تنسيق المعطيات التربوية في شخصية الإنسان أو فتح مجالات الإثراء والارتقاء والتسامى والجمال لدى الإنسان ليشعر بقيمته أكثر وبكرامته ويتمسك لمكتسباته التربوية والفطرية فتزداد قيمتة الإنسانية بالتالى بزيادة قيمة وفاعلية عقله جوهرة الجواهر .. فهناك إنسان يستسلم راكدا راقداً لا يحرك ساكنا ، وهناك آخر يكافح ويتحرك ويحارب الاستسلام بل ويغير الظروف بقوة يبدعها من داخل نفسه فيهزم بها كل الإحباطات التى تهدده وتحتوشه وينطلق بإمكاناته وعناده ليحقق أهدافه ويصنع المعجزات وهو يستحق النجومية لأنه انطلق وبذل الجهد وفضل السبق والشجاعة والمجازفة تحقيقاً للكرامة وخوض التجربة لو أعاد المحاولة وازداد خبرة ـ خير له من الاستكانة مع البقاء بلا قيمة وبلا كرامة وبلا عقل .

ويقال : كيف سيحقق الفن تجميل التربية أو إثرائها ؟ وللملاحظة فإن الحاجة أم الاختراع ولابد أن تتوافر مقومات لتنفيذ الأعمال الهامة والمرغوب فيها وهى الرغبة ، كذلك الاستعداد ، الرغبة بالعزيمة والإيمان والتخطيط ، كذلك الاستعداد المادى بالعناصر اللازمة كذلك ما ينبغى من حساب الاحتمالات وحماية خطوات التنفيذ من خطورة الطوارئ والأخطار .

الأشغال

من المفهوم اقتران الرسم بالأشغال كمكون لمسمى «التربية الفنية» وكلما تضاءل الاستعداد بالخامات مع التلاميذ أو انعدم ـ كذلك في مخازن المدرسة ـ كلما كان هناك الحد الأدنى لتواجد المادة كما يسمى بذر الرماد في العيون ـ فيكون الاكتفاء بكراسة رسم ضعيفة البنيان مع بعض التلاميذ والأكثرية يحضرون كمتفرجين أو مستخفين لأنهم لا يحترمون المادة التى لا تحترم نفسها والتلاميذ الذين يحضرون تلك الحثالة من الكراسات يضعونها في حقائبهم

مطوية كالجرنال وربما يلفون فيها الخبز الذى ربما يشترونه لدى عودتهم إلى بيوتهم !! والنادر منهم يحضرون الألوان التى ابتدعت منذ أربعين سنة للإجهاز على المشاعر والأحاسيس بجمال الألوان ولغتها وموسيقاها ـ وهى ما يسمى (بالفلوماستر).

والتعبير الفنى بالرسم يسبقه الخيال والانفعال بفكرة العمل وتكوين الفكرة على الورق بعد أن كانت وهماً وخيالاً وإرهاصات ـ أما الأشغال فهى بلورة أكثر إلى نماذج وماكيتات ملموسة ذات أحجام صغيرة أو أكبر تكون الخطوة التالية ماكيتات أكبر في كليات الهندسة أو المدارس الصناعية أو مراكز البحوث ثم تأتى الاختراعات والتنفيذ من الجسمات المحدودة الحجم إلى العمائر والقلاع والمصانع والسدود التى هى في الأصل خيالات وإرهاصات وكروكيات وسوف يأتى فيما بعد إضافات حول هذه الأمور .. على أنه قد جرت العادة على الارتقاء من الحسن إلى الأحسن ومن النجاح إلى الأرقى ومن المشروع الصغير إلى الأكبر وأن المستهدف دائما هو تحقيق النجاح والثراء والكرامات خطوة بعد خطوة وتجنب الإخفاق ، والاستفادة من خبرات النكوص والمفاجآت المحتملة وهذه هي الدنيا .. فالذكىّ الفطن من يستطيع أن يستفيد من تجارب الماضى ، وما أكثر ما تمر بالإنسان من تجارب .. والتجارب هى المحك والخبرة .. ويقال عن الحروب : « ابذل العرق في التدريب توفر الدماء في المعركة » ولدى التدريب العضلى تحصل على القوة الجسيمة ، ولدى التدريب المعملى في المصنع أو المؤسسة أو الأكاديمية تحصل على نتيجة أفضل وبحسب نوع التدريب على الذكاء والتفكر والاطلاع والمثابرة في ذلك تحصل على النتيجة الأبهى ، والتكاسل يبعث الكسل ـ والشعور بالإخفاق يؤدى بالإنسان صاحبه أن يهرب إلى النوم ويتوارى عن الناس ، أما النشاط بالنجاح والنجاح بالنشاط يبعث على التفاخر وتوليد المزيد من النشاط والنجاحات للتفاخر والاستعراض أمام الناس لكى يكون مكانه في الصف الأول ، والناجح لا ينام لأن اليقظة أطيب لديه من النوم فهو ينهل بنشاطاته في يقظته من الأفراح والسعادة لا يستبدل بنشاطات النجاح أى أمر آخر ومثلما التعليم والتعلم بصفة عامة يلزم فيه التدريب للراغب فيه والشغوف في الاستزادة بالنهل منه ـ فلا يتم النجاح لمجرد الذهاب

للمعهد العلمي والعودة فالأمر يلزمه المعاناة بالبحث والتجريب والفهم والمتابعة والقياس والاستدلال والاستنباط والاستقراء - كذلك التربية الفنية يستلزم لاستيعابها الرغبة فيها والاستعداد بالخامات والمواد اللازمة للممارسة وأن أى نقص أو اختصار للمواد يسبب القصور الفكرى والإبداعى لدى الطالب ليختصر بالتالى تطلعاته الإمتاعية فتتميع نفسه وتتضاءل رغبته الفنية بمقدار تضاؤل الإمكانيات المادية أمامه كذلك عندما يتضاءل الوقت أو تزدحم برأسه المشاكل النفسية فتعكر صفو أفكاره فتحوم في نفسه سحابات الخوف من بعض الأمور حوله .

ولابد أن يكون إلى جانب الطالب المدرب المخلص الذى يشجع الطالب وما أجمل التشجيع .

ويقال: إن التلميذ من نفسه دون أن يدرس يعرض المخبوء ظاهراً في عمله الفني فإذا كان في درس التربية الفنية - « التعبير بالرسم » - على الورق ومارس خطوطه بالقلم الرصاص ويستخدم الممحاة باستمرار دلّ هذا على أنه متردد ضعيف الثقة بنفسه خائف .. ولو عود نفسه على الجرأة طمأنه المعلم بالتشجيع ورضى بإنتاجه وتعبيراته كما جاءت دون إزالة شيء منها بل والثناء عليها أمام زملائه وعرضها في مراحل مرة بعد مرة سيتقدم مستواه الفنى وسيكتسب الثقة والسلامة النفسية .

فإذا لجأ إلى رسم الخط بالمسطرة - عند تنفيذه لتعبير فنى مطلوب منه - فهو عند فرض تنفيذه الخط بدون مسطرة يشعر وكأنه سيغرق في بحر وأنه لا يستطيع بل يوشك أن يبكى كالتائه أو الذى في مأزق - وحالته التربوية التى تبدو هنا للمعلم - أن هذا التلميذ مصاب بداء الاعتماد على من سواه وأنه يلزمه مساعدة الآخرين - والعلاج كمثل الأمر السابق - مرة فمرة بالتشجيع يعتمد على خط يده المستقلة عن المسطرة ويكلفه المعلم بمهام يكتسب بها الثقة بنفسه ويمتدحه أمام زملائه ويعرض له أعمالا كذلك ويذيع اسمه في طابور الصباح مع الممتازين ويساعده أن يلقى بعض الكلمات في (مايكروفون) المدرسة في الطابور .

كذلك علاج التلميذ الذى لا يجيد التنسيق والترتيب فيكون طبعه تلويث

يديه وملابسه وكتبه وأدواته فى دروس التربية الفنية فلا يعالج بالتوبيخ والضرب وإنما مرة فمرة بالتوجيه ثم بالثناء على نظافته .

والتلميذ الذى يصور إبداعاته الفنية ويشكلها صغيرة ضئيلة في ركن من الصفحة ـ ويترك باقى المساحة خالية ، فهو عادة منطوٍ نجده في الساحة المدرسية قبل جرس الطابور قد تكوم في ركن يخشى أن يختلط بالآخرين ، فيوجَّه بان يُكبِّر تصميماته بلا خوف ويدخل في ساحة العمل بجرأة مرة بعد مرة مع الثناء عليه وطمأنته .

كذلك من ينفذ تصميمات متناثرة مع أنها لموضوع واحد فبدلا من أن تكون في تكوين متماسك متكامل مترابط قوى ، نجدها مفككة كل جزء بمفرده لا صلة له بما سواه ، ويدل هذا على علاقات التلميذ الغير سوية مع الآخرين ومع البيئة ، تفاعلاته مع المجتمع غير طبيعية فيها الحذر والخوف مما قد يظهر من ممارسته الفنية كما تقدم ـ فيكون الإصلاح التربوى بالتشجيع ومشاهدته للوسائل التعليمية وصور متكاملة العناصر وبطبيعة الحال لأبدّ أن يكون المعلم قوى الشخصية ذو مستوى تربوى ممتاز خبير وحصيف وصبور فيشجع التلميذ على تقريب الأشكال وتكامل العناصر ويساعده على الإلمام بأبعاد الفكرة كاملة.

كذلك من لا يجيد اختيار الألوان المبهجة هو عادة يجنح للألوان الحزينة الكئيبة بل يلوث الألوان النظيفة الصافية فتبدو مشوهة مثل نفسيته كأنه يخاف من الصفاء والبهجة في نفسه أو ألوانه .

وبعد فلا بأس أبداً من قيام المعلم ـ معلم التربية الفنية ـ بمتابعة التلميذ نفسياً واجتماعياً وزيارته في منزله بعلم من إدارة المدرسة للإطلاع على أحوال من هم في ظروف سيئة من تلاميذ المدرسة الموجودين في ظروف أسرية غير سوية ـ فالإخصائى الاجتماعى مع الأسف عادة بعيد عن مثل هذه الأمور مشغول بميزانيات الرحلات وتسوية السجلات الرياضية والجوائز ـ أقول ذلك وكأنَّ الفصل الدراسى ٣٠ تلميذاً ـ أنا أتكلم عما ينبغى أن يكون هو حق التلميذ الذى يرتاد سفينة الطلائع .

الناقل والمنقول

الخيال أمر هام جدا وخطير في الحياة كلها ونعرف من آيات القرآن الكريم :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّنٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَنٰهَا ﴾ [الشمس : ٧-٨] .

ومن النعم العظيمة التى يتمتع بها الإنسان السوى نعمة الخيال والتخيل والتفكير وبُعد النظر بالتالى والقدرة على دراسة الأمور والتخطيط كذلك ـ بالتالى ـ والاحتراز من الأخطار « احرص على ما ينفعك » ، « إنما الأعمال بالنيات » والنية فكر وتفكر ودراسة للأمر واقتناع والاتجاه نحو تنفيذه أو الإقلاع عنه أو الاستمرار في دراسته أكثر بأعمال العقل .. الفكر .. الخيال .. الإلهام .. التصوُّر .. الانفعال بالمرء والاقتناع بالقبول أو الرفض أو الزيادة فيه لصنع المر بالإجادة المأمولة.

وفي المواد الدراسية المختلفة لا يجوز فيها الشطحات والاختراعات والخيالات والهواء .. مثل اللغة الإنجليزية Spelling Exercises Lgramrmer ـ أشكال الحروف ـ قواعد اللغة العربية ـ تمارين الجبر والهندسة ونتائج التجارب الكيماوية والطبيعة وجغرافية العالم والتاريخ والصناعات الغذائية وتمارين التربية الرياضية .. إلخ .

أما التربية الفنية ففي التصميمات ينبغى ـ إعمال الخيال ليجوب العالم والكواكب الأخرى والبحار والمحيطات ويخلق ما يشاء من عوالم أخرى نعرفها أو لا نعرفها وأشكال عديدة نألفها أو نخضعها لمشيئتنا أو نلغى هذا العالم ونصنع عالماً آخر ونصنع ما نشاء من أمور وإبداعات .

عندما نأكل ونشرب وكل الناس هكذا ـ وكل الناس لابد لهم من إفراز للنفايات .. حتى السيارات أو الأراضى الزراعية والمصانع وسوى ذلك ، كذلك الأمور النفسية عند المخلوقات ـ ولدى الإنسان فإن المتنفس والعادم والإفراز السيكولوجى المنظم الصحى يتم في المدارس والنوادى وسائر المواقع بصفة خاصة بالتمارين الرياضية وألعاب الفكر كالشطرنج والكمبيوتر والموسيقى ـ كذلك بصفة أخص بممارسة التربية الفنية وإعمال الخيال ورد الفعل الصحى ليتلخص من الضغط النفسى بشكل جميل ..الاستفادة المثلى من الفعل ورد الفعل Reaction مثل الاستفادة من زئير الرياح في تدوير مراوح المصانع وطواحين الهواء وطلمبات الرى وسائر الأعمال الميكانيكية بتحويل هذه القوى إلى طاقة نافعة لأن الطاقة إن لم تنطلق في مسار طبيعى وانكتمت حطمت

وانفجرت بالجسم الصادرة عنه وساء حاله .

والمطلوب هو التعبير الحر للطلائع والتلاميذ فتعبير التلميذ بحرية وتوظيف انفعالاته وردود أفعاله ليقول ما يشاء ويحكى ويصوِّر ويصرخ ويبدى الرأى الذى يريده ويعرض وجهة نظره ويسمح له بأن يستشير ويقول ما لديه ويشطح ويُشَخْبط ويعترض ويحطم الدنيا داخل الورقة ويصور مرة أخرى ومرات ويعيد النظر فيما قد أبدع وربما غيَّر من أشكاله أو من رأيه .. ولا يجب أن يسخر منه أحد لأن السخرية ستؤدى إلى نتائج مؤسفة لأن هذه الشخبطات والشطحات هي بدايات الاختراع وانطلاقات العبقرية ـ أما عندما يكون المطلوب هو النقل طبق الأصل ، وأنه إذا لم ينقل النموذج طبق الأصل يكون فاشلا وراسبا ومتخلفاً ، فهذا تكميم وسد غبى لمنافذ الإفرازات وردود الأفعال يؤثر على حياته .. ـ حياة التلميذ ـ ويمنعهُ من الإبداع ويصنع منه آلة .. ويخاف دائما عبر حياته من أن يخترع شيئا أو أن يحلق بخياله أو أن يوظف عقله للاطلاع على الأمور ويتحمل المسئولية ، ولا يستطيع عبر حياته أن يكون شجاعا أو أن يكون له رأى أو وجهة نظر خاصة به بل يكون إمعة يقلد الناس وينتظر حتى يقولوا فيقول مثلهم .

إن الذى أتى بموضوع النقل طبق الأصل هو المدرس القادم من كليات الفنون التطبيقية والجميلة ومعاهد ليوناردو دافنش والمدارس الصناعية ، فإن المثالية لدى هؤلاء الخريجين أن ينقلوا الشيء أو النموذج طبق الأصل ، فإذا لم ينقل طبق الأصل يكون ليس بفنان أو مبدع .. مع أن النقل طبق الأصل يعتبر عملا صناعيا بحتا .. عمل حرفى في الورشة وفي الدكان وفي سوق النماذج ما هو مسألة أخرى وتخصص آخر له مجاله الصناعى والتطبيقى ـ أما تدريب الطالب في المدرسة فمن الممكن أن يمارس فكرة النقل لتدريب رؤيته الفنية بعد أن يمارس كثيرا من أفكار الإبداع الخيالى فيخلط النقل بالخيال ويكون النقل هنا ليتعارف على الطبيعة ويتعايش معها بالحب والألفة وليس من الأمور الصحية كما قلنا أن يظل يقلدها لأن التقليد تحصيل حاصل واستعباد الأحاسيس وتكميم للفكر والعقل . لابد أن يفرز ما قد تراكم بنفسه وينفس عنها ليكون

طبيعيا أولا بأول .. أعمال التربية الفنية يلزمها الصبر والتأنى والتفكر فلا تفكر بدون صبر وتأنى وبعد نظر واتزان وذلك كله يخلق التطبع واكتساب هذه الأمور كانطباع ومواهب لسائر أعمال الإنسان في الحياة ومكاسب عظيمة لشخصيته .

وليكن معلوم أن الدقة في نقل المشاهد والأشكال والظل والنور وشكل المجسمات وتطابق الأصل مع الصورة كما يرمى إليه الذين ينقلون الأصل إلى الورقة أو التمثال ـ أن الفائدة التربوية المرجوة هى أن يدقق الإنسان النظر في الأمور وجزئياتها فمثلما هو حصيف دقيق هكذا وهو يلاحظ وينقل المشاهد فمن الضرورى أن يكون دقيق النظر عندما تقابله المشاكل والمشاهد في الحياة ويقرر القرارات فلا تفوته هفوة أو احتمال ويكون ذا كفاءة واقتدار وحنكة .. وهذه كذلك أمور فنية وفنون وتربية فنية وحياة وكما سبقت الإشارة أنه من المفيد في الرؤية الفنية للأعمال التشريحية وأشكالها تطبُّع الطالب بالدقة ووضع الأمور في نصابها في حياته عامة وخطواته وإجراءاته .

احذر الخيال البغيض !!

لا بأس من الخيال ولا بأس عليه .. فإذا وصل الأمر إلى ظلم الناس بسوء الظن بهم بلا سند وتوسيع قصص الظن واختلاق المسرحيات التى لا تنتهى فصولها .. وتصديقها ثم إذاعتها هنا وهناك وهم أبرياء غافلون ، ويستشرى الخيال ويشتعل بلا حدود كالنار في الهشيم ويجد الناس الفرصة لإسقاط وإلصاق عقدهم وأمراضهم على أبرياء وتشجع البطالة وحب الثرثرة على التحليق والانطلاق والشطحات في كل الآفاق لصنع الصور والأفلام والرؤى بدلا من ممارسات الفنون وصنع الإبداع المفيد .

يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨]

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾[الحجرات : ١٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ﴾ [النور : ١١] .

وحب السخرية من الآخرين الذى يستخدمه البعض - وراثة من أهلهم - يزكى نار خيال الظن بالظلم .

وإن من الأولى أن يلتفت كلٌ منا إلى نفسه فيوطنها على ممارسة الخير والإبداع وينطلق بها إلى الجد ويساعد الآخرين ويساهم في إصلاح بلاده ومواطنيه ويكون هدفه العمل والإبداع والإنتاج الحقيقى ويصلح عيوب نفسه وليس لإنتاج حواديت الظلم وخيال العدوان على الناس كالحشرة البغيضة السرطانية .

التجديد .. الابتكار .. الخلق Creation

أى عمل أو إجراء أو حركة أو إيماءة هى مسئولية المفكر والمبدع وهى صادرة عن العقل والفكر بالتالى ، تخطيط وبعد نظر ومسئولية لخدمة الجميع ، فإن لم تكن جديدة ومبتكرة ومبهرة .. وبناء جديداً من مخترع عظيم مفكر . فلا خير فيها إن كانت قديمة منقولة .. تحصيل حاصل من خامل غشاش كسول يوهم الناس أنه يقدم فكرة أو إبداعا ويتصور أن المجتمع من الغباء والبلاهة بحيث سيصفقون له معجبين فإذا بهم مثقفون هم الآخرون .

إن المستوى الفكرى الذى وصلت إليه البشرية ازداد بمقتضاه تدفق المخترعات الإبداعية والعلمية والالكترونية كل ساعة وتألقت التصميمات الفنية سباقا وخلقا منطلقة من سائر العقول وحلقت الأحلام إلى أقصى ارتفاعاتها - فإن لم يكن الحديث مجديا جديدا خلاقا خلوقا خيراً نافورات ذهب فلا داعى له ، أما الحديث الذى يصدر عن أبله يشيح الناس بوجوههم عنه فهو يفتّ في عضد المجتمع وبنيانه كالبكتريا الضارة كأنه صياح طفل أو صراخ حيوان يضر ويزعج فلا فائدة ترجى منه انطلاقا - وليعلم كل إنسان أنه باحترامه لنفسه يعطى المزيد من الخير والبناء والكرامة لنفسه - إما الخلق والابتكار والتجديد وإما الصمت ويذوى وينزوى خلف الصفوف ومرة أخرى فإن الخيال هو سيد الموقف لبدايات الخلق والابتكار والعمل الفنى عامة وهو الجوهرة العظيمة التى منحها ربنا جل جلاله للإنسان ليخلق ما يريد بخياله ويخطو

الخطوات المتتابعة من الكروكيات والماكيتات فالميزانيات للتنفيذ بالدراسة والتخطيط لا يستطيع أن يقول للشئ كن فيكون إلا في حدود وقيود وخطوط وأهوال ، ومن كرم الله تعالى على الناس أن ينسب إليهم أن هذا الطفل هم قد أنجبوه وهذه الملامح ملامح أمه وأبيه كأنهم هم صانعوه وهم قد ربوه ورزقوه وكبروه مع أنه هو سبحانه الذى قد ربى ورزق وإليه المصير .. ومن كرم الله جل جلاله أن ينفذ لنا كل ما نرجوه من خير للآخرين عندما ندعو لهم فيستجيب الله إن شاء في الدنيا أو في الآخرة .. فى الحال أو بعد وقت .. حيث يجب أن نسلم له سبحانه وتعالى كل الأمور .

ولن نستطيع أن نخلق مثل ربنا أبداً هو سبحانه الخالق ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء : ١] ، ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣] ، ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَآ ﴾ [النمل : ٦٠] ، ﴿ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ﴾ [الحج : ٧٣] ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس ٨١-٨٣] ، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ [الأعراف : ١١] ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾ [النور : ٤٥]، ﴿ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ .[آل عمران:٤٧] نحن فقط نلعب بالعناصر التى قد سبق وخلقها الله تعالى في باطن الأرض ومن فوقها وأعطانا العقل وكنوز الفكر والخيال والمسئولية لنستخرج من تربتها وتنسيقها وتوليفها ما تمليه حاجتنا لخدمة أنفسنا والناس عامة بلا ظلم لأحد وإنما كما سبقت الإشارة ينابيع الخير بنافورات الإبداعات .. الجمال والحضارة .. التقدم الاجتماعى ، فمن العتة والغباء أن أقيّم التماثيل التى تحاكى الواقع والتى كانت سائدة في العصور السالفة ، بأنه كلاسيكى وأمجّد فيها مع أنها تحصيل حاصل وقد استعبد المثال الصانع فكره يريد أن يخلق مثل خلق الله وبعد أن انتهى أحدهم من صنعته في أحد أعماله وظن أن الدور هو

أن يخلق الروح أو أن يتحرك التمثال ويحيا ويتكلم .. بهذا الغرور ظن المثال ولا أقول الفنان أنه ينافس الخالق العظيم ـ لا شريك له ـ وصرخ في التمثال وهو يطعنه بنصل آلة حادة ـ قائلا : « لماذا لا تنطق عليك اللعنة !!؟ .

وقد توالت الرؤى وإذا بالأجيال المتعاقبة تظن أن التصوير طبق الأصل هو الفن والجمال والنهضة مع أنه مجرد صورة ميتة أو تمثال ميت أو نموذج ـ كوسيلة تعليمية توضع في المخزن لا غير .. كصورة قوارب في بحر أو ورد أو عصافير أو أشخاص أو سواها ـ ويدرسون في كليات الفنون النقل طبق الأصل لتقوية القدرات العضلية والرؤية الفنية لدى الطالب وللتواصل كما سبقت الإشارة بين نفس الطالب والبيئة والعناصر وكذا دراسة التفاصيل الصغيرة والدقيقة ، وكذا دراسة الأبعاد السيكولوجية للشيء المنقول عن طريق نقل عناصره وكتلته والتعمق في النظر إلى عمق كل الأمور المتناهية الدقة في الشكل وحوله . وأنه ليس من العسير أن ننقل صورة فوتوغرافية ونكبرها ـ وليس من العسير أن أدرس الزهور وأنقلها طبق الأصل بأشكالها وألوانها ودقائقها ـ ممكن أن تكون للزينة (الديكور) ـ ولتأكيد الرفاهية وتقليد العصور القديمة والتراث ولكن الفن .. الفكر .. الابتكار .. التجديد .. النهضة لها شروط الابتكار .. الخلق .. الإبداع ـ ليس تقليدا لخلق الله تعالى طبق الأصل ولكن استخداما للعناصر التى قد أولانا الله إياها لنستخدمها بفضله تعالى بما يواكب العلوم التى قد أنزلها الله في الكون والأدوات الجوهرية في عقولنا وهى الخيال والإبداع ، ونحن ـ كما قلنا ـ نبدع ونخلق في حدود ما قد أولانا الله من إبداع أقصى ما نستطيع من جديد مبتكر في سائر الأمور الخيرية المبهرة .. لا نبدع قنابل نووية لندمر الناس أو نظلم .. لا نبدع مواد كيماوية لنحطم زجاج السيارات لنسرق ما فيها .

ومن الأفكار الفنية في دروس التربية الفنية أعمال المجسمات كنماذج أو مصورات باسم التكعيب والتأثير الضوئى ـ وكما قلنا مسألة النقل من الطبيعة طبق الأصل لمجرد النقل ـ قلنا: ممكن أن ينقل مرة ليعرف ويتآلف مع الواقع ثم ينتقل إلى نقل روح النموذج .. الخطوط المجردة .. ماذا يؤدى أو يرمى إليه هذا النموذج أو يرقى إليه؟ ، ما هو التطوير الطبيعى بعد ذلك؟

الرمزية

بدلا من أن نظل نحكى عن موضوع أو تعبير أو ننقل النموذج أو الصورة بدقائقها لنقول : إنها بحر أو شجرة أو طائر فمن الممكن أن نختصر خطوطها باسم الرمزية أو التجريد إلى أبسط صورة والتجريد أبلغ .. لمحة .. تلميحة .. كلمة .. ما قل ودل ، كلما زادت البلاغة والعلم قلت الثرثرة ..

وخلاصة الأمور هى سطر أو بضع كلمات في آخر الموضوع .. أو قانون .. أو قرار .. سطور قليلة ناتجة عن دراسة عميقة قد ربطت عناصر مشتتة .. هى الكلمة أفضل من عشرة ـ وكما يقال : الطبيب الماهر دقيق في التشخيص يصف دواءً واحداً وسواه يصف عدة أنواع من الأدوية لسطحية علمه فهو ليس بمتأكد من الحالة أو التشخيص .

والرمزية والتجريد هي أمور البلاغة لا تصدر إلا عن عالم ولا يستوعبها إلا العلماء أما المثرثرون الجاهلون فإن أعمالهم وأقوالهم كغثاء السيل هيهات أن تبنى أو يفهم عنها .

والرمزية بالنظرة والإيماءة المجردة والتلميحة والخطوط المختصرة وبساطة التصميم وبساطة الديكور وبساطة الثوب والطعام والأثاث وبساطة الأداء وبساطة التقاضى وعرض الأمر والمناقشة والابتسامة اللطيفة وكرم اللقاء ورِقَّة التعبير بصفة عامة .

دروس التربية الفنية في المدارس

درجنا ـ بالنسبة لمجالات الفنون بالمدارس « التربية الفنية » الرسم والأشغال على افتعال دروس التعبير الفنى هذه ويظل المدرس والتلميذ في عناء حتى ينتهى الوقت والنتائج مفتعلة نادرة الإبهار ، فالدروس باهتة مملة معروفة سلفا يتندر التلاميذ قبل بدايتها بتخمين عناوينها حتى يكشف المعلم عن المخبوء ويكون أحد تلك العناوين بالفعل ، أما مباراة كرة القدم أو السوق أو تصميم لعلبة حلوى أو زى للبنات أو البنين أو قوارب البحار أو الأسماك أو النباتات أو العمائر أو الأعلام .. إلخ ، ستقولون : وهل هناك عناوين موضوعات سوى ذلك أو مثلة ؟ ، أقول: لابد من التشويق ، فهناك أمور مملة تحيط بالتلميذ

وتظلمه مثل كثرة أعداد تلاميذ في كل فصل وتكدس المناهج وصعوبتها والأعباء الاجتماعية والعائلية والفروق الفردية التى تحيط بالطالب أو الدارج ، ناهيك عن أن تلك الموضوعات أو العناوين المشار إليها هى عناوين وموضوعات كالحة - المدرس نفسه لا يحبها ولا يجيد التعبير عنها لا ثقافيا ولا فنيا ، والعلاج أن تكون المخازن بكل مدرسة ملأى بالخامات ، وأن يكون الوقت كافيا وأعداد التلاميذ محدودة والوسائل التعليمية كثيفة مشوقة ولا بأس أن يكون الزمن في أغلبه لمشاهدة هذه الوسائل والتمتع بها عبر اللوحات والوراق والأفلام وزيارة المواقع الحيوية لهذه الأماكن على الطبيعة - وأن يشاهد ويرى التلميذ آخرين ينفذون قبله ، ويرى منافسة وجوائز وتشجيع ومعارض لنفس العمل في كل جنبات المدرسة وأسماء تذاع فى الطابور في الصباح وأن يشجع الجميع وأن تعرض الأعمال أيضا بالتليفزيون فورا في نفس اليوم وألا يشترى التلميذ أى خامات عنوة وإنما برغبته ، وذلك لتوافر الخامات الممتازة بالمخازن فإن ما يدفعه التلميذ من مصروفات شيئا كثيرا ممكن أن يزاد وتخفض المواد الدراسية الصعبة حتى تأخذ التربية الفنية مكانتها ، وجميل الآن أن الدولة دخلت مرحلة وضع الفنون العملية في المكانة الأولى لأنها مفتاح التنفيذ للعمل والديناميكية الاجتماعية بعد التخرج فالمهنة والموهبة والإلهام والاحتراف والإنتاج مفاتيحها في تعلم الفنون التى ما بدأت تحتل مكانتها سوى في هذا العصر الحديث في العشر سنوات الأخيرة وفي إحدى المدارس الثانوية عرض المعلم على التلاميذ في درس التربية الفنية بعض الأوراق سابقة الطبع - لكل طالب عشرة أوراق كل منها ٢٠×٣٠ سم بكل منها تصميم مخالف عن الآخر لظلال وهميونيات غير منتظمة بالأسود - والمطلوب إبداع ما يراه الطالب بخياله أن كل تصميم من هذه التصميمات يسوق خياله فيبدع منه ما يراه من شكل منتظم ومفهوم كأنه هو الذى قد أبدعه من البداية ولونه وتممه . وهذا الأمر لا بأس به وهو بدايات تدريب الطالب وإرشاده نحو الأفكار والتصميم وتحمل مسئولية العمل الفنى .

والجمال: هو الأمر المستهدف عبر الحياة والمعيشة لأنه مسار الإمتاع وطريق الارتياح والأفراح والتى هى الأمور التى يلهث لبلوغها كل الناس ويتباهى كل

منهم ويتفاخر فهى مفاتيح حب الظهور والاعتزاز . وكل من الرجل والمرأة يتنافسان كل منهم يريد أن يحوز قلب الآخر وإعجابه والظفر به وهى أمور الحياة وسر التكاثر والتعمير ولولا أمور الزواج والتكاثر لما كانت مشروعات الإعمار في العالم ولما كانت المبانى الجميلة والملابس والمنافسات للرفاهية ومستوى المعيشة والأناقة والاستعراضات لبيان الأناقة في المظهر والثقافة والعلوم وما إليها .

اكتشاف المواهب

« **الحاجة أم الاختراع** » حكمة نستفيد بها وحكمة أخرى : « **العشب لا ينمو تحت الحجر المتحرك** » ولابد للنبتة الوليدة أن تحاط بالرعاية والسقيا والحماية من النمل والصراصير والعدوان عامة حتى تنمو وتترعرع وتزدهر وتزهو - كذلك الإنسان ..الوليد لابد أن يحاط بالرعاية والحماية والطمأنينة والتشجيع ليرضى ويفرح ويطمئن ثم ندفعه برفق إلى التدريب على شيء من أمور العلم والإبداعات - وعندما يتدرب على بعض الأمور سيظهر ميله إلى ناحية منها أكثر من ميله للنواحى الأخرى وهنا نزيد من إمداده بخبرات أكثر عن موهبته الوليدة وذلك مع معطيات الحب والتشجيع والحماية والاحترام والطمأنينة في بيئة وأسرة وعائلة كريمة ، فإن القهر والإذلال للدارج تساعد في تقطيع أوصاله قبل أن يتأهب للسير فما أسوأ الإهانة للإنسان ، تميته قبل أن يحيا فكيف سيعطى بعد معطيات المواهب وهو ذليل محاط بالتهديد والوحشية؟

وكثيرا ما تتعطل وتتراجع معطيات المواهب بسبب انتظار الإنسان منا مساعدة الآخرين وتعطيل عقله انتظاراً لعطاءات عقول الآخرين .. يتكاسل عقله ويمرض انتظارا لما تجود به عقول الناس مع أن عقله مثلهم وأفضل وإن كانت ظروف النشأة وما يحيط به من حالات وتداعيات الأحداث مرة فمرة - قد دفعته للتكاسل والتواكل وهذه السيكولوجيات السيكوباتية يجب أن يَخْلع نفسه منها وينهض من الدمار والفشل والإفشال ولجج الطين - فكل الناس في مثل مستواه ولكنه قد ترك مكانه السابق لهم وتقهقر فكان خليقا أن يداس بالأقدام .. وهو الذى قد انتظر إحساناتهم وأنهم ليسوا بمحسنين وإنما وحوش كاسرة .

الخبرة ومراحل المسئولية والتربية !!

الحكمة التى تقول : « من شب على شيء شاب عليه » تحتاج إلى مراجعة وهى غير صحيحة أمام الخبرات والثقافات والمسئولية .

فالذى يشب ويشيب على نفس الحالة هو الحيوان ما سوى الإنسان ، أما الإنسان المفكر ذو العقل والخبرة والعلم والثقافة والمسئولية والدين فهو الذى ينمى خبراته وينتقل من حسن إلى أحسن ، وإذا وقع في المساوئ لفترة طويلة أو قصيرة ورأى أن يغير وبقدر عقله ينزع نفسه من سوء الحال وإذا به في الطريق السوى والصواب والنجاح ، وإذا بالخبرات السيئة تكون خبرات عظيمة في حياته ودروس وعظات وتدفعه إلى مزيد من النجاحات وإذا به يتعجب كيف كان قد وقع في الحالات السيئة التى كان فيها ؟ كيف أنه كان يسير فيها كالحيوان وكالمسلوب عقله؟ ، الآن فقط قد عرف الآن فقد قد فهم أبعاد الأمور والدروس ولن يترك نفسه نهبا للخيبة - بل سينتقل من التوفيق والخير والسمو إلى مراحل أفضل والمتعلم هو المقياس والمثقف والمفكر والعاقل - هو المقياس وليس الذى يقبع كالحيوان منذ مولده ويموت كالحيوان هو الذى يشب ويشيب على حاله - أما الذى يكون في حال لا بد أن يفكر ويزيد من نجاحه كما قلنا: إن كان ناجحاً - أو ينتهى عن حاله إن كان فاشلا - ويخطط لطريق الصمود والسمو الكرامة ويزيد من إمكانيات التعليم ومعطيات القوة من داخله والسابق إلى معالى الأمور فينزع نفسه ويخلع نفسه وينقذ نفسه ولا ينتظر أن تأتى موجة لتنقذه فربما جاءت موجة عاتية فأجهزت عليه أو زادت في إفشاله .

والتلميذ يبدأ بالتعليم في المراحل الأولى التمهيدى .. الابتدائى ثم إذا نجح ينتقل إلى مراحل أعلى ، وليس من الضرورى أن يظل الإنسان منا على حال واحدة حتمية بل يجب أن يندفع من داخله النزوع للتغيير وإنقاذ نفسه والكفاح للأفضلية كما قلنا ولا ينتظر إحسان المحسنين والمتصدقين .

فمن أسباب الفشل الاجتماعى للناس هو انتظارهم واتكالهم على صدقات الغير .. وما في أيدى الآخرين ، وقضاء الوقت في الدموع والحسرة على حالهم إزاء حال الأغنياء الناجحين النابهين وكيف أنهم في الحضيض وهؤلاء في القمة وأن من

في الحضيض كانوا هموا مستحقين للقمة وأن الذين في القمة كانوا أقزاماً ووصلوا .. ويظل المتحسرون يتحسرون حتى تنتهى الحياة وهم على حالهم !! .

الإنقاذ ـ كما قلنا ـ هو أن يصنع المجد بنفسه ويخلع نفسه من الحضيض دون انتظار لدموع الحسرة والخيرات التى تسقط من السماء بأوهام الذهب والفضة دون أن يبذل الجهد أو الفكر والعقل والكفاح أو التخطيط .

فمثلا التعليم خطوة فخطوة .. مرحلة فمرحلة .. كذلك الطريق السوى للأحوال خطوة فخطوة .. خبرة فخبرة .. ولن يتفوق إلا من يتذوق طعم الفشل في مراحل سابقة ليحصل منه على الخبرة والدروس ، ولن يكسب ويربح إلا من قد خسر في فترة سابقة وكلها خبرة ولا بأس فالذكى الفطن من يستطيع أن يستفيد من تجارب الماضى وما أكثر ما يمر الإنسان من تجارب .

فليأخذ الإنسان من مرحلة الفشل أو الخيبة أو البذاءة أنها مرحلة يخلع نفسه منها ـ وإذا ادلهم الخطب فليفكر ويخطط ويخلع نفسه إلى النور ولا ينتظر من حوله أن يساعدوه فربما زادوه شرا ، كل منا له عقل جهاز عقله الخاص .. ينتقل من مرحلة من السقوط إلى النهوض ، من الفشل إلى النجاح ومهما طالت مرحلة السيئات فليخلع نفسه وإذا زادت الأمور سوءاً فالإنقاذ كما قلنا:أن يخلع نفسه وليغير ما بنفسه وسيتغير فالتغير من نقطة الصفر لن يكون إلى ما دونه بل سيكون إلى الأفضل شيئا فشيئا .

ويقول العامة عن ابن آدم إنه يعيش ليتعلم أو يعيش ويتعلم ويظل يتعلم ويموت في آخر العمر وهو ما يزال ينقصه مزيد التعلم ، وينبغى أن يفيد العلم ، يفيد المتعلم وينقله من حاله إلى ما هو أحسن ، وأن الذى يؤدى إلى الإفشال هو إلغاء العقل وتعويده على السكون والنوم والبلادة وترك النفس مطية لركلات الآخرين والذين يسبقون هم ـ ومن منهم يرغب في أن أسبق أنا ويتقهقر هو ؟ ـ

إذاً الخلاصة أن وقت الفشل مهما طال ينبغى أن يكون مرحلة وتمر كخبرة وأن يتحمل الفرد منا مسئوليته تجاه نفسه وتجاه الأمور. لابد أن يصنع نفسه ويقود نفسه ليرقى ويخلع قدميه من لجج الفشل والخيبة ليصنع المجد ، وليكن الفشل خبرة ومرحلة ، ومن الاتكال على الآخرين إلى المسئولية عن النفس وعن

الآخرين وإلى السبق وتشغيل العقل والفكر والتخطيط والخبرة والإمكانيات الكامنة .

ومن دلائل ثبوت التعقل والذكاء والفطنة ومؤشرات الخير أن يمنع الإنسان منا نفسه ـ وكما سبقت الإشارة ـ عن أن يرد مهاوى وموارد السوء وحيث يعتبرها مستنقعا منتناً فإذا تبينها وتذوق مساوئها فمن العتة والغباء الشديد أن يردها مرة أخرى ويرتشف منها وهو قد عرف مستواها العفن وقد ظن ظناً خطأً من الوهلة الأولى أن فيها العسل والشفاء ، فإذا أعمل عقله وبعد نظره ورأى الأمور دقيقة حقيقة انصرف انصراف اللاعودة .

فالذى يقع في الرذيلة ثم يخلع نفسه إلى الفضيلة لا يعود وإنما هى خبرة وإفادة .. والذى يلج بابا يهان فيه أو لا يقابل بالتقدير ـ وهو قد وصل بخير لهم وبشاشة دون أن يضر بأحد ـ فلا يجب أن يعود إلى هذا المكان أبداً إلا أن يُنْصَفْ أو يُعَوض .

قرار استراتيجى :

للضرورة .. عندما يكون هناك أمر أو مشكل أو بناء فنى أو عمل إصلاحى أو مغامرة أو محاضرة أو ظهور بين الآخرين لوقت طويل أو قصير لابد أن ينتهى الأمر إلى نجاحك وفلاحك ونصرك وتفوقك وفوزك وسبقك العظيم أمام الناس أما بينك وبين نفسك افعل ما تشاء للتدريب (والبروفات) وليس هنا أنصاف حلول أو تفوق جزئى فإما نصر ساحق أو عدم الدخول نهائياً في المشكل أو الأمر ، فإن عدم الدخول نهائياً أفضل وهو الاختيار التالى للنصر ـ أفضل من النصر الجزئى ـ لا تقول : سأقوم بهذا العمل أو البناء أو حل المشكل أو المغالبة ببداية أعرفها وأضمنها ولكن بعد ذلك (بالبركة) وبالتساهل وبالنية الحسنة .. لا بل كل الأمور من البداية للنهاية والطوارئ والاحتمالات كله مدروس ومحسوب بالدقائق والتفاصيل ويكون هناك توقع لكافة الجزئيات .. إما النصر الساحق أو عدم الكلام وعدم الدخول في شيء .

الرؤية الفنية

تبدأ الرؤية ـ بالنظر ـ من رؤية الجو المحيط بالليل أو النهار ـ الطريق .. الأشياء عامة لكى يمر الإنسان ويخطو وينصرف إلى حيث شاء .. وتبدأ الرؤية الفنية من تفحص التفاصيل ومواقع الأشياء والعلاقات التى تربط العناصر ..

ويبدأ هنا تدريب حاسة النقد والمعاملات « ليس مع الناس فقط » ، ولكن مع الأشياء !! عجباً فهل هناك معاملات مع الجماد ؟ ، نعم ، فإن منا من يعيش ويتعايش في مسكن بمفرده يضمه مع عناصر الجماد من حوله بل أن كل الناس يتعاملون مع عناصر الجماد بكل التفاصيل .. يسير فوق الأرض .. يسبح في الماء .. يطير في الهواء .. ينام في الفراش يتعامل مع الأغطية والستائر والسجاد الأبليكات والوسائد والمناضد ، ويجلس على الأرائك وإلى المكاتب ويركب المركبات ويتكلم في المسرة وحضارته كلها جماد يحمل الثقافات في ثرائه ، يفتخر بالجماد .. والمال جماد ، والجماد يطيعه ويستجيب له ويأنس كل منهما بالآخر .. لصاحبه .. والبيت الذى يقضى الإنسان منا فيه العمر ويفخر به .. جماد ، والجمادُ يسبّح وله طنين في آذاننا وإن كنا لا نفقه لغته .

والإنسان منا مثلما يغتسل ويبدل ملابسه بالجديد ويفخر بجمال ثيابه واختياراته لها فإنه ينظف الجماد من حوله ويجمله ويبدل ثيابه ويغير مواقعه بتغيير مواضع العناصر وعمل العلاقات بين قطع الأثاث والألوان والأشكال وألوان الحوائط والأرضيات ونقل قطعة من مكان إلى مكان في ذات الموقع بالحجرة أو بمكان آخر أو بالاستغناء نهائيا عن قطعة وشراء أخرى ويكون لبيع القطعة أو القطع من الأثاث تأثير جارح على النفس فهى تاريخ وتراث ومعايشة وأجيال .. طالما جلسنا على هذه الأريكة .. كثيرا ما تناولنا طعامنا على هذه المنضدة وكنا نسهر ونضحك مع أعزائنا هنا .. وهنا .. وهناك ، بل ربما يلمس الواحد منا قطعة الأثاث وهو يبكى أو يغادر البيت للمرة الأخيرة وهو يولول كأنه يفارق الصديق العزيز الذى لا يعوض شارك في كل الذكريات

ونعود للرؤية الفنية هى صنع الجمال بعلاقاته وتفاصيله الدقيقة ضمن العلاقات الثرية كالمرئيات من حولنا .. يدخل فيها حساسية العين المدربة للنقد والتآلف مع الجمال ـ إننا نفخر ليس فقط بجمال الوجه ولكن الأهم هو جمال الأشياء والممتلكات .

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر : ٥٧] .

فى ممارسة التربية الفنية (الإبداع الفنى)

وينبغى الإسراف وأؤكد كلمة الإسراف وتحتها خطوط كثيرة ـ طبعا بشرط الرغبة والاستعداد بإخلاص ـ فإن قائد الأوركسترا لم يصل إلى مستواه إلا بالمداومة على التدريب اليومى كذلك راقصة الباليه وكذلك في سائر الأمور فينبغى للوصول إلى الأستاذية في أمر هو التدريب المستمر في مجال هذا الأمر ـ وإن كنا ، كما قلت ـ نرغب في إخراج فنان ومبدع ومفكر في مجال الفنون خاصة ينبغى التدريب المستمر اليومى بإسراف وبذخ في الخامات ، فكثير منا كان يظن أن مجرد وجود كراسة بها ثمانى وريقات على مدار العام وبعض الأقلام المقصوفة الكالحة ـ تكفى للتمرس على مادة التربية الفنية والنجاح فيها وانه لا يرسب فيها أحد فهى من ٤/ ٢٠ والذى يحصل-على ثلاثة ممكن أن ينجح بالتزكية ـ فمرة أخرى ، الممارسة المستمرة والصرف ببذخ على الأدوات والاستمرار في التدريب حتى يدخل الطالب في برزخ التربية الفنية المهول لأنه برزخ الإبداع ليعرف جيدا قدرة الله فينا ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٧] .

ولبدايات الرؤية الفنية بالنسبة للطالب يلزم التدريب على استخدام الأدوات بعد النظر والتفكر وإعداد التصميم المرغوب في تقديمه .. التدريب على استخدام الأدوات ، القلم والألوان وأدوات الكرتون أو المعادن أو سائر الخامات اللازمة لعمل الماكيتات ولا مانع من العمل أو التعبير عن مرائى من الواقع لبيان العلاقات بين الفكر والعناصر المحيطة ثم الانطلاق بعد ذلك إلى الأفكار الأرحب كما سبقت الإشارة من قبل .

وعندما ننظر إلى العناصر المحيطة ونريد أن نندفع ونرقى فإننا ننظر بعلاقاتها الهندسية بسواها وبالخلفيات وبالشكل العام ويساعد تجريد الزيادات على انبثاق قدرتنا على عمل التصميم الابتكارى الجميل الذى يطير بنا في مفاهيم وآفاق واكتشافات عجيبة تواكب الفكر الثقافى الرحب الذى نتحمل مسئوليته كمفكرين سباقين للزمن .

ومن الأوجب أن يكون لدى الطالب منا الأرضية اللغوية في التعاملات العلمية ، وبالنظر لما تتمتع به اللغة الإنجليزية في مدارسنا من رواج واهتمام بصفتها لغة عالمية ، فلا بأس من بيان بعض معانى الألفاظ والاصطلاحات كالآتى :

الفن	Art
التربية الفنية	Art education
يقبل التهذيب أو التربية	Educable
هذّب ـ أدّب ـ ربّى	Educate
مثقف ـ مهذب ـ متعلم	Educated
وزارة التربية والتعليم	Ministry of Educatian
تعلمي ـ تهذيبى ـ تربوى	Educatianal
مهذّب ـ مُعلم ـ مُربٍّ	Educator
رَسَمَ ـ صَوَّرَ	Draw
رسام ـ مصور	Draughtsman
دهان ـ طلاء ـ بوية	Paint
علبة ألوان رسم	Box
فُرشة بوية	Brush
خلاّطة بوية	Mixer
مزيل الدهان	Remover
رشاشة بوية	Sprayer
مخفف للأصباغ	Thinner
مصور بالألوان أو نقاش	Painter
دَهَنَ ـ تصوير صورة ملونة	Painting
لوحة لمزج الألوان	Palette
سكينة للتلوين	Knife
تصنُّع	Artfulness
فنان ـ ماهر ـ مصور ـ ممثل	Artist
فنى ـ بذوق فنى	Artistre Artistic
بلا مهارة	Artless

والاسم منها	Artlessness
صف أو نوع أو مادة	Article
شيء مصنوع	Artifact
عمل يحتاج إلى مهارة	Artifice
اصطناعى أو غير طبيعى أو كاذب	Artificial
تصنّع أو تكلّف	Artificiality
صناعى	Artificially

قضية التربية الفنية

ليست القضية فى مجال التربية الفنية هى إبراز أعمال صماء .. زخارف ورسوم وصور وزينة فقط ـ ولكن القضية هى التلميذ .. الطالب .. الإنسان الدارج .. صحته النفسية .. شخصيته .. سلامته التربوية .

المواد الأخرى ثقافية .. ضرورية ولكن بسبب أنها تسقى للتلميذ بمرارتها ليحفظها بالإجبار والخوف فهو ينساها أو ينسى أغلبها بمجرد الامتحان وأثرها طفيف على المجال التربوى .

أما التربية الفنية فهى اعتراف بالفروق الفردية للتلاميذ ولا يؤديها الطالب بالإجبار فهى بالإلهام والمشاعر السعيدة والصحة النفسية والاندفاع الصادق ولا تجوز بالافتعال.

كما أن الكلمة هى عمل فنى يمرّ بالعقل والمشاعر الصادرة عن تربية سليمة .. هى تكوين فنى فالذى لا يستطيع أن يُعبّر بالكلمة الجميلة كعمل فنى فكيف يمكنه أن يعبّر بالعمل الفنى الجميل؟ لأن العقل واحد والمعطيات واحدة والقدرة على تشكيل وابتكار الكلمة هى الأصل فى العمل الفنى وهنا نجد وحدة التوليفة بين الثقافة والفن .. العلوم والفنون والآداب وكلها مركب الفنون.

أنواع الفنون

ليس بالحتمية أن تكون الفنون على كوكبنا ـ منفصلة يسير كل منها في طريق مستقل ، ولكنها تتكامل في أغلب الأحيان لتزدهر وظائفها فكلها فنون وكلها إبداعات ومع هذا فقد ظهرت في العصر الحديث تفسيرات واجتهادات في

تسمية أنواعها مثل :

١ - **فنون تشكيلية** : « وهى التى لها مساحة وحجم وبناء شكلى يُشكَّل بيد مبدعه » كالنحت والعمارة والتصوير .

٢- **فنون سمعية** : مثل الموسيقى والغناء .

٣- **فنون بصرية** : مثل المسرح والسينما والتليفزيون.

٤- **فنون الدب** : مثل الصحافة وفن الكلمة بصفة عامة .. القصة والشعر والمقال .. إبداعات اللغة .

أضواء على الفنون التشكيلية

Plastic Arts or fine arts

والتشكيلية هنا تعنى التطويعية والتى تشكل بالأيدى سواءً على مسطحات بتصميمات خطية ولونية « كالرسم » للتعبير الفنى الذى يبدعه الفنان .

وكذلك كالنحت المجسم بالخشب أو الحجر أو بمختلف الخامات المتداخلة التى يراها الفنان أو الحفر بطرقه المختلفة أو الرليف البارز أو الغائر والخزف ـ وكذلك أشغال المعادن أو أعمال النجارة وأعمال النسيج وطباعة المنسوجات والزخارف المختلفة المسطحة أو المجسمة وكلما كان تصميم العمل من إبداع الفنان وفكرته ومن إلهاماته الخاصة ـ كلما استحق اسم الفنان .. مبدع الجمال الذى يسكن القمة ويستحقها !! .

التصوير الضوئى

هذه الكاميرا صديقتنا .. إنها كاميرا صماء ولكنها ذات دور نحترمه .. إننا لن نتجاهل دور الكاميرا « آلة التصوير الضوئى » ـ بل نقدره .. وفي رأيى أنه لا بأس من أن تستأثر العدسات اللاقطة ببعض الأركان أو الأوضاع أو الأبعاد أثناء تصميم « الاسكتشات » لدعم التكوين الفنى .. وهنا مصادفات تكون أصدق وأروع عندما تلتقطها الكاميرا .. فلتوظَّف الكاميرا حينما يكون من الأجدى توظيفها يستخدمها فنان تشكيلى يعرف بخبرته الموقع والضوء والهدف ودقة برقة البصر فيحصل في لمحة على الإبهار المطلوب يستخدم به التأثير

النفسى للفكرة ضمن التكوين التشكيلى - فلا خصومة إذاً ، بل موصلات للهدف بأرقى ما يمكن من وسائل .. عند اللزوم . المهم أن يقدم المبدع - الفنان التشكيلى - فكرته في تكوينه المتكامل الناضج بمهارة الممارس الخبير .

سلوكيات الإنسان

إن الإنسان منا يتحرك في حياته في الأمور المختلفة بعد تفكير وإلهامات وترتيبات قيمتها صغيرة أو كبيرة ولكنها إبداعات .. ليس بالضرورة أن نراها لوحات في معرض أو أعمال درامية بالسينما أو المسرح أو تمثيليات أو موضوعات صحفية .. ولكنها كل ذلك دون أن يدرى .

ولطالما كان هناك فنانون عظماء على أعلى مستوى ، مؤلفون لم يقرأ لهم أحد، ومعلمون للأجيال كان لم يشعر بهم أحد ، يعيشون ويموتون في هدوء وتجرد ونزاهة .. كرامًا لم يحتف بهم أحد ، ولم تُقَم لهم حفلات التكريم ولا التأبين - كانوا فوق مستوى شهوة الشهرة وفوق مستوى غريزة حب الظهور وتأكيد الذات أو رغبات التسلُّط أو التطاول أو التزلُّف .. أو حتى سباق المنافسة .. بل نماذج لإنكار الذات، قد قدموا الكثير وخرجوا من الحياة كراماً صفر اليدين !!.

من شخصية الإنسان الفنان

يثق في قدراته الفكرية .. يستلهم الجديد بفكر صبوح من معطياته هو لأنه يحترم نفسه لديه من القدرات والملكات الإبداعية ما يؤهله لخلق الجديد والسمو فوق ما هو تقليدى .. مع تردد أنفاسه ونبض قلبه ومشاعره يعكس صدقه وأصالته بنفوره التلقائى من سرقة أفكار من سواه حتى ولو كان الشكل من إبداع سابق له هو نفسه !!! فإنه يسمو ويترفع عن إلغاء عقله وإبداعاته .. إنه خبير موهوب يشمئز من الصور المنقولة والأفكار المكررة والرتيبة .. إن الفنان منطلق للمنافسة لصنع حضارة والارتقاء بوطنه في رحاب المثل العليا .

إن فكر الفنان ذخائر وكنوز وسيول إبداعية متجددة تتحدى الجمود والموت الذى يحيط بالناقل والمنقول ، لا يمنع هذا أن نستوحى الإبداع من شيء أمامنا .. من الطبيعة أو من أعمال آخرين .. ولا يمنع هذا أن تكون نسبة الصفاء

الإبداعى في العمل هى قيمته وقيمة من أبدعه !!.

وبحسب علاقة الفنان منذ نشأته بالأسرة والبيئة ـ المجتمع والأرض ـ وبحسب ظروفه الاجتماعية والنفسية تكون معطياته وقدراته الفنية التى تدفعه للتعبير ومستوى الإبداع .. فإن كانت خيرا فالنتيجة مبهرة ، وإن كانت هناك سحابات وضغوط من هنا وهناك ـ غير سوية ـ على نفسيته وشخصيته وأفكاره ، فالتعبير بالتالى يختلط بنواتج تلك الرواسب ـ إلا أن يستقطب من قدراته ما يمكنه من تجاوز هذه المشاكل المعنوية فينتصر عليها بموضوعية الفنان وشفافيته لأنه يصور ويشكل الحق ، وما دام قد وصل إلى هذا السمو الاجتماعى والنفسى فإن تلك السحابات والغيوم والرواسب ما هي إلا خبرات للمعرفة والإدراكات بدليل أنه قد عالج كافة الأمور وصحح المساوئ والعيوب الذاتية ـ وإن العظيم هو الذى ينهض من كبوة ، وينتصر فينجح من رسوب ، ويحيا من جمود ، ويفرح من حزن ، وينطلق من تقهقر محقق ، إلى عظائم الأمور !!.

من الفنون الأخرى الجميلة

ومثلما كان التنويه عن الفنون التشكيلية وهى في ذات الوقت فنون بصرية بل ولها موسيقاها مثل موسيقى الشعر وتنغيماته ـ تأتى الموسيقى والغناء كقاسم مشترك بين الناس عبر العصور فلا يوجد مخلوق منا لم يغن ويتغن في حله وترحاله حتى في الممارسات الدينية يغنى ويتغنى .. حتى سائر المخلوقات .. يدخل التمايل والرقص والتراقص ضمنيا كظاهرة صحية لإضفاء حيوية التعبير.. والمسرح أبو الفنون كما يقولون ـ يتضمن جميع الفنون ..

تشكيلية : الخلفيات والديكور « التصميم الداخلى والزخارف المصاحبة » .

سمعية : الموسيقى التصويرية والإيقاعات والغناء .

بصرية : التمثيل والاستعراضات والأضواء والمؤثرات اللونية .

أدبية : النصوص من تاريخية واجتماعية .. الدرامية بصفة عامة ، والإخراج .

جيش وفرق عمل تتكامل لأداء المعطيات النفسية والتعليمية الراقية ، تفتح نوافذ صحية مبهرة على طريق حضارة الإنسان الفنان .

أنا .. الفن

هناك مثل دارج مشهور يقول : « كُلُّ بثرٍ ينضح بما فيه » وكل منا يريد أن يقدم أفضل شيء لديه حتى يدلل على أن صورته وشكل قيمته من أفضل ما يكون والفنون التى نحن بصددها هى أدوات يستطيع الإنسان أن يبرهن ـ عندما يقدمها ـ أنها صورته وشكله الأجمل ورائحته الأزكى وشفافيته وقدسيته !، ورسالته التى يريد توجيهها .

إن ممارسة الفنون تقوية لملكات الخير لدى الممارس .. قدراته الروحية والفكرية والإبداعية الابتكارية .. والممارسات الإنشائية والتجميلية .. وتقوية مشاعره تجاه المؤثرات المختلفة وإعادة النظر في الأشياء ونقدها والنقد الذاتى ، والنقد البناء ، وتقبل النقد ، ومعاودة الإصلاح .. فتضمحل عنده نزعات الشر والقبح ويزدريها فتذوى وتتجمد في اللاشعور حتى أنه بعد ذلك ينزعج وينأى عن أى إشارة أو لمحة تنافى الفضيلة وتعادى الحق والخير والجمال .

تأكيد الذات

الفن تأكيد للذات .. وحب الظهور غريزة .. فلا أحد يحب أن يظهر إلا جميل الشكل طيب الرائحة كريم الأصل والفرع رقيق الحاشية برىء الذمة متفهم عالم محنك .. لذلك فإن الفنان ينزع إلى تسجيل اسمه ـ ويحرص على ذلك ـ في ذيل كل عمل فنى له ـ أو يذاع اسمه أو يشار إليه ليقترن بكل ما هو جميل كبرهان يشهد له الموقف والتاريخ ليقال إنه قد تبوأ مكانة أرفع من مجرد ابن آدم فهو ملائكى منزه عن جميع الدنايا والعيوب !!.

ومن الطريف أن كل إنسان مبصر ـ عبر حياته ـ ويوميا ، مرة على الأقل ، إن لم يكن عشر مرات ، يراجع « جماله في المرآة » ليطمئن على نجوميته ووجاهته ويقوم بمتابعة ـ الديكور ـ اللازم واللمسات السحرية ليبهر الجماهير قدر الاستطاعة وأكثر !!!.

هذا الكوكب مسئوليتنا :

الجمال متاح في الكون من حولنا في مواقع كثيرة وفي كل مكان نرتاده ـ هذا

الجمال هنا وهناك وفي أنفسنا - هو من إبداعات خالقنا العظيم .. وعلينا أن نتعلم منه ونحاول محاكاته وندعمه ، ونحافظ على إشعاعاته وننميها لنتمتع بمباهجها ونضع قدر استطاعتنا من إبداعاتنا الفكرية والعلمية ومن قدراتنا المزيد من الإضافات المبهرة والتى تسمى الحضارة لتكون دليلا على تفوق الإنسان المتفرد بالوجدان المفكر والمخترع على طريق الحق والخير والجمال .. وإن هذه المثل العليا يظل الإنسان يحاول أن يستكملها ولكنها تظل بناءً لا يكتمل - ولو كان الإنسان حتى في القرن الحادى والعشرين كاملا لكان آلة لا تخطئ ولكان عالمنا عالم الملائكة .. ولكنها الحياة معاركات وابتلاءات ومدافعات ومجاهدات ، كلما وصل الإنسان إلى شيء لا يرضى عنه ، يريد الأفضل ويسعى ثم يرتقى ثم يسعى للأفضل فإذا أخفق حاول مرة أخرى وسعى وجاهد دون يأس ، واستمر إلى الأفضل ، هو طريق الكمال إذاً ، إنه طريق مبهر ولا نهائى !!. طريق الفن.

الفنون والتنوير

الفنون تربية وأدوات للرأي العام المستنير وتعبير عن مكنونات النفوس وتنمية الأحاسيس والذوق الإنسانى الرفيع - ومثل الميكرو فيلم - الفنون رموز تمنح دلالات عريضة - لا يستطيع أن يعبر بالرموز الفنية بالكنوز والمعانى - إلا عالم وخبير وإنسان وفنان .. صاحب رسالة وبعد نظر ..

وكما قلنا : سائر الفنون تلتقى على قناة واحدة .. منها الإبداعى الابتكارى لتنمية الوجدان والأحاسيس والقدرات على التأمل والوصول إلى المعانى الجديدة والخيالات البناءة .. مثل التربية الفنية والموسيقية والمسرحية والتعبير الإنشائى والقصصى والأدبى عامة .

ومنها الوسائل التعليمية التى تشرح المناهج والمعانى والتعليمات والتوعية الاجتماعية عامة مثل الإعلانات والصور المدرسية والعلمية في الكتب والتى تساعد وتشرح الكلام بأبلغ مما يأتى به الكلام .

ومنها أيضا القوالب الزخرفية التطبيقية .. تصميم في البداية زخرفى ثم قالب مكرر منه ، وعند الرغبة في التطوير يصمم سواه ويصنع القالب التطبيقى ويكرر وينتشر في الموبيليات .. العمارات .. السيارات .. الملابس .. إلخ .

التجريد في الفنون

أستطيع أن أؤكد أن الكثيرين جدا من طلاب الفنون لا يفهمون جيدا معنى كلمة تجريد ولا مغزاها وأنا كنت واحداً من هؤلاء الطلاب !! التجريد البسيط .. إزالة الزيادات ..الاختصار إلى أبسط صورة وصولا إلى أعمق معنى مستهدف بأبسط رموز بما يواكب عصر السرعة وكثافة العلم ولزيادة الفهم لدى الناس ، نافورة علم في مانشيت ولمحة ونظرة وإيماءة ، فالوقت لا يسمح الآن بالثرثرة وسرد التفاصيل كلها إلا لجاهل أحمق لا مكان له الآن في سباق النهضة والمنافسات والصراعات فوازير .. من يفهم أكثر وأسرع ؟ .. من يلتقط المعنى والمقصود المخبوء في لمحة ؟ والسريالية يعنى ما وراء الحقيقة والفنان الحقيقى هو الذى يحلم بخلق عالم جديد .

مازال بعض الكتاب في الصحف مقالاتهم تحتل مساحات بمضمون يمكن أن يعرض في جملة ـ وتمثيلية عريضة طويلة يفرد لها شهر من الممكن أن تعرض في ساعة .. وخطبة رنانة لا تحتمل كل هذا الصداع عبر ساعة وزيادة .. وصور يرسمها بعض الفنانين في أيام لتحكى عن حديقة أو شخص أو شجرتين أو بعض الماء والطيور .. الموجود منها في الدنيا من حولنا المناظر الحية والصورة خالية من الفكر مجرد تقليد ونماذج ميتة لا تقول جديداً .

وظائف الفن في المجتمع

الفنون نتذوقها بمشاعرنا ليس في مجتمعنا المحلى وحده بل هى لغة العالم منذ نشأته ، ولذلك كانت هناك في المقدمة بعض الألفاظ بالإنجليزية لا بأس أن نكون على علم بها كلما أمكن ذلك ، ونحن نتذوق فنون الدول الأجنبية المختلفة وتؤثر في مشاعرنا وهم كذلك يتناولون من فنوننا بالتذوق والإعجاب يأخذون منا ونأخذ منهم

وبحسب التقسيمات المتاحة فإن الوظائف التى تؤديها الفنون أربعة :

١ - **وظيفة روحية** : يعنى ترويحية للتسرية والتلطيف عن معاناة ماديات الحياة وقسوتها حينما ينطلق الواحد منّا فيعبر بحرية عن مكنونات نفسه بالتعبيرات الفنية المختلفة مثل الأعمال المسرحية المختلفة كالغناء والضحك

والرقص ومثل التصوير وممارسة سائر الفنون التشكيلية ومثل الكتابة التى تعكس ما بوجدانه وإحساساته وهذا هو الطريق السوىّ للترويح الإبداعى الراقى الذى يبنى الحياة وتنشأ بفضله الحضارات .

وبالمناسبة فإن مظاهر الرقص بأنواعه المختلفة من إيقاعية وفلكلورية وغيرها (وشعبية) حتى الرقص الدينى (حلقات الذكر) هي رغبة من الإنسان أن يخلع نفسه من الأرض وأن يخف وزنه ويطير فينطلق ويسمو.

٢- **وظيفة اجتماعية** : تجميع وتقريب وتوحيد المشاعر والوجدانات مما ينتج عنه الوحدة الشعبية كقوة ورأى عام مستنير - مثل التجمع حول موضوع محاضرة واحدة ، والمناقشة الجماعية وإبداء الآراء فيها - ومثل مشاهدة الجمهور لمعرض فنى أو مسرح أو متحف أو مهرجان أو سوق دولية للمنتجات الفنية .. أو تليفزيون في موضوع واحد .

٣- **وظيفة ثقافية** : كل صف من الصفوف الدراسية في المدارس على مستوى الدولة يستوعب نفس المنهج والكتاب والأسلوب .. كل فرد منهم يفكر في ذات الموضوع مما يوجه الوجدان والفكر والإبداع ، بما يواكب المستوى الثقافى والفنى لنفس الصف الدراسى .. كذلك الآثار القديمة التى يتوق لزيارتها كل الناس في العالم هي فنون تشكيلية وبسببها أمكن استقطاب واستيضاح التاريخ القديم للمجتمعات المنصرمة الضاربة في أعماق التاريخ وترجمة لغاتها ومعرفة سائر فنونها العلمية والمعمارية والحضارية ..

٤- **وظيفة دعائية (دعوية)** : الاقتصاد القومى لكل دولة قائم على النشاط التجارى من ازدهار أو كساد - والإعلانات هى مفتاح النجاح والرواج ، (والماركة المسجلة) هى التى تبيع .. وهى عبارة عن تصميم فنى ولونى مشمول بالغلاف صغيراً أو كبيراً .. نلمح الصنف والنوع من بعيد فيشير إلينا ونشير إليه كأننا نشترى (الماركة المسجلة) واللون .. فإن كان (الباكو) منزوع الماركة المسجلة أو خالى اللون نظرنا إليه بريبة ولا نقبله حتى بالمجان بل نفر منه كأن بداخله عقرب أو كارثة والإعلانات تقول وتشير ويفهم عنها .. مكتوبة .. أو مرسومة أو من خلال عمل درامى

بسيط ولطيف بالتليفزيون أو السينما أو الإذاعة وبالرقص والغناء والبيان المقنع .. هى رسالة من فنان حصيف يفهم نفسية المتلقى ومقدار الأثر والنتيجة والهدف !! .

الصياغة .. والعناصر الفنية الأساسية :Basic elements

المبدع الفنان يحيط بالتفاصيل والعلاقات بين العناصر .. يتذوق الرسالة الفنية قبل وبعد صياغتها لدى تقديمها .

هناك هدف للرسالة واقتناع شخصى وقدرة على إقناع الملتقى بل وإحداث الإبهار والإعجاب .. والرسالة الفنية مسئولية لأنها ليست مجرد كلام فقط يقال ولكنها مشاعر غاية في الدقة .. تلميحات وإيماءات ونظرات وانفعالات واختلاجات .. إظهار للصح والخطأ .. والدخول في مجالات النقد الاجتماعى والنفسى .. العمل الفنى ذو عناصر تقول وتؤدى وتهدف الأمور ، كل لمسة لها قيمتها .. الشكلForm - اللون Colour - الإبراز (أو التفخيم لإظهار عنصر كبطل رئيسى للعمل) Emphasize - التوازن Palance - العمق Depth - الثقل الحجم Volume الانسجام (التوافق الشكلى واللونى) Harmony - التضاد Contrast, - الملمس (لبيان دقة الفروق) كالنسيج Texture - الكتلة Mass - الإيقاع Rhythm - الخط Line - المساحة Flat - موسيقى العمل الفنى Music - التكامل Completion .

أبعاد أخرى لطاقة الإنسان

- العيون تبصر بقدرتها المحدودة وتنطلق قدراتها بالنظارات والعدسات العادية والالكترونية والتى يبصر بها الإنسان الميكروبات الغاية في الضآلة - والأفلاك الغاية في البعد ..
- السيقان تمشى - وتزداد ضراوة وكفاءة لِطَىّ الأرض والآفاق والسيارات والقاطرات والبواخر والطائرات .
- وكفاءة الإنسان الصحية المحدودة تتدعم بالحمية والدواء والوقاية والنظافة.
- والعقل يزداد قدرة على الوعى والمعرفة بالتثقيف والإطلاع والتعلم

والإحساس والتفكر والتأمل والكمبيوتر والإنترنت .. ووسائل الاتصال وتبادل المعلومات .

- وترق المشاعر ويحاول الإنسان أن يصل إلى الملائكية بممارسة الفنون والتراحم ومذاكرة الديان والسمو الخلقى نزوعا إلى الفضيلة والروحانية .

ومن هنا فإن الفنون من عوامل السمو بالإنسان والارتقاء بشأنه ـ وكما سبق التنويه ـ هو مجبول على أن يدفع السوء عن نفسه متبرئا من الدنايا ينزه نفسه بين الناس ما استطاع .. يريد أن يكون بالإبداع قديساً إن استطاع .

وقد ظهرت الألوان والمساحيق والزخارف للرجال والنساء والأدوات وتصميمات الأزياء التى تصنع التمويه وتزن الأمور بأغلى من قيمتها ـ منذ الإنسان البدائى وقد ظلت أدوات الزينة مستمرة عبر العصور حتى الآن وإلى الأبد لا غنى عن الزخارف والألوان والديكور (التصميم الداخلى) والموسيقى والإيقاع والأضواء ، فأصل الإنسان سفلى ينجذب إلى الأرض والفنون تجذبه وتسمو به نحو الفضائل والمعالى الجميلة .

إن النموذج الفنى هو كلام وخبر ومصدر وإشارة وأثر وتأثير يظل ينطق ويقول ويؤكد رأيه ويدلى بدلوه ويلح بفكرته ليل نهار ، ويدوى ويصيح ويهمس ينشر عطره ومعطياته الجميلة طبعا كأنه صاحبه الذى أبدعه والذى يعيش دوما .. لا يموت !! .

الإيقاع

عنصر رئيسى في العمل الفنى وفي الحياة كلها .. كل مخلوق منا قد عايش الإيقاع من وقت أن كان جنينا في بطن أمه .. مع دفقات الدماء في قلبه وفي قلب أمّه .. وهذا إيقاع الشروق والغروب .

إيقاع المشى .. إيقاع الإقلاع والوصول .. الحياة والموت .. إيقاع الجهد والعمل .. إيقاع الشهيق والزفير .. إيقاع مضغ الطعام .. المد والجزر .. الطبول والموسيقى .. ومن هنا كان الرقص والغناء والصناعة وتنظيم الشوارع وترتيب الأشياء والأمور ، والكلام والصمت والحركة والسكون والنظام .. والمنتجات الفنية والزخرفية والجمالية عامة !!.

إلهامات الإنسان

العمل الفنى هو بناء جميل بعناية فائقة محسوبة الخطوات بكل التفاصيل والدقائق وإلا كان تخبطا لاقيمة له بفكر معدوم .. إن الإلهام يأتى بالتفكر وإعمال معطيات الخيال وما يجول بالخواطر .. والتصور وبعد النظر .. وابتكار التصميم الافتراضى .. والتخطيط وحساب الاحتمالات وإعادة النظر والمراجعة ثم عمل الكروكيات والمعالجة لعلاقات الجزئيات في التكوين ـ وتكريس قدرات الفنان بشأن النقد الذاتى لعمله ومتابعة الفكرة وعدم تقديمها للرأي العام إلا بالحالة المتكاملة الهادفة الرائدة القوية البناء .. ولطالما كانت المنشآت الضخمة والمشروعات الكبيرة مجرد إرهاصات بخيالات وافتراضات ثم الكروكيات والماكيتات ثم النماذج المبدئية وحساب الميزانيات .. وعلى مثل هذا النظام تبنى الحضارات وتنهض الأمم وتصنع أمجادها !! .

الفنان خبير بنفسية الناس .. مثل يُحتَذى .. هو المنوط بإبداع المعجزات .

إن ممارسة الفنون عامة هى ممارسة للحرية وإمتاعاتها .. هى بناء الجمال والإضافة للحضارة .. وكلما زاد البناء الجمالى افتخر المجتمع بحضارته بين الأمم.. والجمال هو تقنين ضابط للأمور وسلامة للشكل أو الأمر أو العمل أو الفكر ، يعنى لا بهتان ولا ظلم ولا شر .. والشكل الجميل هو الذى يبهر النفس ويسر الخاطر ويثير الارتياح والافتخار ، وإن توليف شكل منسجم متكامل من مجموعة من الأضداد والعناصر أو الخامات المتباينة ـ هو كرامة وتميز للفنان المبدع وبرهان على إمكانياته في صنع الحياة وقدرته على اجتياز المواقف الصعبة لإبداع الجمال من القبح والتوافق من التنافر والخير من المشاكل ويكون في قضايا المجتمع القدوة والأستاذ والمصلح .

إن الألوان إذا كانت مُجَرَّد أكوام أو مزيج فوضوي اعتبرت أوساخا وتأثيرات مزعجة ونفايات كريهة . ومواد البناء إن كانت كذلك اعتُبرت أيضاً نفايات أو زحامات أو ملقات مطلوب إزالتها كقمامة .. وكذلك سائر المواد والخامات المعمول بها في الحياة من حولنا حتى الناس أنفسهم وتخبطاتهم بل والموسيقى الفوضوية .. فالترتيب المسبق والتنسيق المحسوب هى قوانين الجمال للمبدع صاحب العمل الابتكارى الهادف الراقى .

الخيال البدائى !!

إنَّ قراءة الكف علماً كانت أم بدعة - هى معاينة وتفحص لخطوط ورموز لعمل تفسيرات واجتهادات - فى وقت غياب الفكر - كذلك معاينة أثر القهوة في الفنجان هى رغبة من أدعياء معرفة الغيب لرؤية أرحب للأمور وللتسامى والبحث عن المخبوء في الأحلام والرغبات الخفية وكلها تعاملات مع الرمزية البدائية .. وأيضا ليس إطلاق البخور لدى المشعوذين إلا إطلاق لخطوط هى الأخرى رموز ورسوم في الهواء وخيالات وتخبطات لتبدو كأنها إبداعات محسوبة ومصنوعة ومخلوقة بين المشعوذ ليبهر الأبصار ويبدو كأنه عالم ببواطن الأمور .. يريد كل منهم أن يتصور أنه فنان بل مبدع ومفكر وخالق ومسير للكون بمن فيه مع خطوط القهوة أو سحابات البخور أو أصداف البحر ، والرمل وخطوطه مع ضاربات (الودع) .. وهى علامات كلها تعكس رغبة الإنسان حتى الأمى الجاهل يريد أن يسبق هو الآخر إلى القمة !!.

في مسرح الضيوف

كل منا له إمكانيات في تصميم فنى ابتكارى خاصة في بيته الذى يبدو كأنه معرض أو مسرح أحيانا ،، وعند إعداد الطعام وعرضه على المائدة وتجهيز أفراد الأسرة بالملابس الأفضل وإعادة تنسيق أثاث البيت ونشر الروائح الزكية وتلميع الحوائط وترتيب الأمور عامة ، وذلك لاستقبال ضيوف على وشك الحضور .. وماذا يقال عند اللقاء ؟ ستكون المصافحات الدبلوماسية الحارة والإيماءات الأنيقة ، ويسبق ذلك تخزين كل مشكلات الأسرة - المضيفة - في دولاب موصد .. لا يظهر إلا الابتسامات والألوان الجميلة والمستوى الراقى للكلمة والحركة والتنسيق المسبق لكل شيء كلٌ يريد أن يوصف بأفضل الصفات ويكون في أجمل صورة حتى الضيوف أنفسهم قد حضروا في أبهى زينة متاحة .. والمرأة هى ملكة البيت مزخرفة بطبيعتها عليها معوّل كبير كفنانة تعكس الجمال حيثما وجدت .. بنضجها وثقافتها وخبرتها وفطرتها !!.

مستوى الفنان

بحسب ما قد حصَّل واستوعب الفرد ـ منا ـ من معطيات اجتماعية وتربوية ونفسية وبحسب مستواه التعليمى والثقافى والوراثى والأسرى يكون مستوى إفرازه لإبداعاته وميزاته في العطاء بين الناس . وهكذا مستوى الفنان في شتى فروع الفن فلكلٌ درجته النجومية .. فيقول البعض: إن هذا نجم كبير أو كاتب ، أو مبدع كبير أو صغير أو ناشئ أو تافه .. إلا إذا أبدع ذلك التافه عملا ممتازاً على غير انتظار أو توقع فإنه يلفت النظار ويبهر الناس من حوله فجأة ، وبالتالى يرتفع موقعه إلى شأن أرقى ويصير محترماً أكثر بالتالى بين قبيلته أو جمهوره إن كانت أسرته أو عائلته أو أقاربه أو أهل قريته أو بنى وطنه أو كل الناس !! .

الاختيار

التربية الاختيارية .. تنمية ملكة الاختيار ، والاختيار قدرة جوهرية قابلة للنمو بالتدريب . لابد أن يتدرب الدارج والجميع ـ الإنسان عامة ـ على حسن اختيار كافة الأمور .. الأشكال والألفاظ ، والعمل .. السلوك .

ماذا أفعل ؟ .. ماذا أقول ؟ ما هو الأمر الأفضل ؟ .. هناك الاختيار بين التفوق والإجادة والسمو من ناحية وبين التهالك والانحطاط والتهافت من ناحية أخرى ـ وبينهما درجات ـ وشتان بين هذا وذاك ، وقدر الاستطاعة مرة فمرة نعرف وندرك ونميز بأحاسيسنا الوجهة السليمة التى تحقق وتؤكد السمو والكرامة التى هى موقع ومكانة الإنسان .. الفنان !!.

أثر العمل الفنى

ليس من الضرورى أن يؤثر العمل الفنى نفس التأثير لدى كل فرد معاين ورائى وناقد .. بل القيمة للشيء هو ما يعكسه أو يثيره من مفاهيم أو أحاسيس أو معطيات لدى الشخص دون آخر .. هناك الفروق الفردية بين الناس والفروق التربوية والثقافية فإن أثر الأمر أو الشيء لدى شخص هى قيمة العمل عنده ..وإن نقص هذا الأثر لدى آخر أو زيادته هو مستوى القيمة عند هذا الآخر .. ومن هنا تختلف الآراء من فرد لفرد تجاه عمل أو سلعة أو موضوع أو

رسالة ، ولذلك فالقضية لا تكون بالدرجة الأولى قضية الشيء ولكن أثر الشيء، فهناك من يشعر بالاكتفاء والغنى والسعادة بصحبة مقدار معين من الأمور ـ وآخر لا يشعر أو يكتفى بمثل ذلك بل يظل شاكيا ـ هذا يعجب بالعمل الفنى أو المسرحية الفكاهية وذاك لا يحرك ساكناً . ولا يمنع هذا من أن يكون هناك الناقد الحاذق المنصف الذى يزن هذه الأعمال بحيادية الخبير .

وليعلم المهتمون والمشتغلون بالفنون ـ وهم يعلمون ـ أن جميع الحرف هى فنون وأن العقول تبدع الفنون وأن الأيدى تشكل الفنون ، وأن المرئيات والمشاهد والسلوكيات والمعلومات هى إبداعات للحياة ، وأن الكون كُلّه والتراث ونماذج الأدوات التى نعايشها من عمارات وشوارع وعناصر كلها فنون من إبداعات الخالق العظيم ثم من تكوين المخلوق الإنسان بما قد اهتدى إليه ، ولا يستطيع إنسان أن يترفع عن الفنون فهو أحد جنودها بالفطرة يؤثر فيها ويتأثر بها .. وإن مستوياتنا وأوزاننا تتقيم بمقدار هذه المؤثرات ، وأن العملة الفنية كثيرة أو قليلة هى قيمة الإنسان وثمنه .

فالفنون قاسم مشترك في كل أمور الحياة فهى ـ ولا فخر ـ المركبة الرئيسة على صفحة نهر الحياة من بدايتها إلى نهايتها !!.

الفنون الشعبية

كلما ارتقى الجانب الثقافى للفنان كلما اكتنزت إبداعاته بالمعطيات القيّمة الراقية .. ولا نستطيع أن نساوى بين إبداعات الفنان العالم وإبداعات الأمي فالأخير نسمّى فنونه بالشعبية وفى رأيى أنها فنون العامة والأميين الذين يفرزون ما قد فطروا عليه من بدائية بالنسبة لظروفهم مقارنة بمن سبقوا ودفعوا سنوات عمرهم في التحصيل الدراسى والفكر والبحث والتجريب والسبق والمنافسات لصنع الحضارة .

إن هؤلاء الشعبيون إخواننا جزء من الهيكل الاجتماعى في كل بلد ولكن فنونهم توازى مستواهم .. تعبيرات من السذاجة والبدائية وفيها الإخلاص والفطرية ونوع الحياة التى يتناولونها .. فنون متواضعة لعالم له خاصية متواضعة

ينبثق عنهم الإبداع ولكن بما يوازى عالمهم (الفلكلورى) وعلى نظامهم .. الفنون البدائية - لا يمنع ذلك أنهم يعرضون فنونهم فيؤثرون ويبهرون ففيها الجديد وفيها الجميل وفيها المسرحيات والدراما والتراجم ولكن بما يوازى مستوياتهم العلمية وإلا لما دارت الحملات الشرسة للقضاء على الأمية ومثلها لبناء الأكاديميات والأجهزة العلمية والمعلوماتية .. فلا يستطيع هذا الفنان الشعبى أن يدخل في حوارات تقدمّية لبناء شوامخ التراث والمشروعات التقدمية إلا أن يعمل في تنفيذ آلى عضلى يلزم الفكر البدائى .

بيت الخيال والواقع

الخيال أرقى من الواقع .. يصنع إبداعات جديدة .. لأنه هو البداية التى أتت بالواقع .. الخيال يجتاز كل الحدود وهو أصل الابتكارات والاختراعات وأن الخيال هو مفتاح التفكير العقلى للتخطيط والتصميم والإنشاء والبناء .. وأن كل ما هو من حولنا في العالم فنون ومعارض فنية .. ولقد درجنا منذ طفولتنا على حب الصور والرسوم والسينما والألوان والحكايات التى يصنعها الخيال وتصنعه والتى نتحرك بها في كل الجهات ونحن في مكاننا فالخيال يسافر بعيداً ويطير إلى كل الآفاق .. وبسبب الخيال يحاول الإنسان منا أن يراجع واقعه طلبا للتغيير إلى الأفضل . كل مبدع للعمل الفنى أو الإنتاج التشكيلى أو الأدبى هو كالمخرج السينمائى او المسرحى .. مسئول ومعنى ومنوط بما يصدر من تحت يديه من أشكال وألوان ومناظر ومرئيات وتكوينات بصفة عامة ..

فالفن مسئولية المبدع الذى يقف على رأس العمل كأنه يقول : « أنا الذى ابتكرت هذا العمل وقدمته من تأليفى أنا شخصيا .. أنا الذى أضيف للحضارة هذا الفكر الجديد » .

ولا بأس أن تكون هناك في العمل الفنى الواحد أو في مجموعة الأعمال المعروضة بعض العناصر الضعيفة البنيان بجوار المتكاملة القوية الراقية وذلك لاستبانة الفرق كوسيلة تعليمية ، فنحن نعرف الخير إذا رأينا الشر .. والنور من الظلام والجمال إذا كان بجوار القبح وهكذا ، بل إن هناك أمثلة في المجالات الإعلامية والتعليمية تواكب هذا البيان .

التعارف مع الطبيعة

وكما أسلفنا فإن الفنون هى رسالات الرُّقىّ الإنسانى ودلالاته .

وإن المحاكاة الفنية أو التعبير عن المشاهد المرئية تعبيرا طبق الأصل وتقليد ما يوجد في الواقع على شكل صور أو نماذج ويسميه البعض بالكلاسيكى أو التقليدى أو القديم أو الطبيعى هو من وجهة النظر الفنية بدايات المسامرة والتعارف والحوار والمحبة بين الممارس والطبيعة للتآلف معها ومعايشة تفاصيلها وتحسس التواصل والمصاهرة معها ، فالإنسان من الطبيعة وإليها ، فهذه المؤانسة والصداقة لا يمكن إغفالها وينبغى أن نشعر بأن عائلة المخلوقات واحدة بالمحبة والتكامل .. وهناك فنان يتآلف مع الطبيعة بسرعة وهو قد عرفها وتصادق مع جزئياتها فهو جزء منها وصهرها فهو لا يحتاج إذاً أن يحاكيها مرة أخرى طبق الأصل بل يريد أن يسمو بها ويضيف إليها من إبداعاته .. وقد أعطانا الله الطريق لنبدع بما قد أولانا من فكر وخيال وتصور وبعد نظر فكيف نظل نحاكى وننقل ذات المرئيات من هنا إلى هناك؟! ننقل الصور الحية لتكون صوراً ميتة .. فالذى ينقل مجرد النقل هو شيء والذى يبدع ويبتكر ويخترع من فكره ومكوناته وخياله ورؤيته هو شيء آخر .. ولولا إبداعات من قد أبدعوا وابتكروا لما وجدنا من حولنا المستجدات التى لم تكن موجودة من قبل .

التربية الجمالية

ليكن اتجاه العمل الفنى هو إلى الأجمل .. الأفضل .. الأروع .. الأسمى الذى يتناسب مع كرامة الإنسان وعقلانيته ومكانته . إن اختيار الأجمل والتوجه إليه هو توجه للحضارة ودليل على التربية الأرقى والاختيار السليم .

نفكر قبل أن نتلفظ بالكلمة التى نُشكّلها ونبدعها والأمر الذى نقدّمه للناس بل نحترم أنفسنا أولاً ـ كما يقول العامة ـ ننظر إلى ما تحت أقدامنا .. ننظر إلى السهم الصادر منا إلى أين سيصل؟ وماذا سيصدر عنه من آثار ؟.. نحن نخطو نحو أمر .. كل خطوة إلى هدف .. هل هذه الخطوة مدروسة أم أنها خطوات فوضوية تحقق عكس هدفها .. متخبطة تثير السخرية أم أنها خطوات ينقصها النضج والفهم .. فهى قاصرة .. ليتها ما كانت؟ !! .

نحن نتحرك على مسرح الحياة ليتعلم منا الآخرون من حيث أن الفنان صاحب رسالة .. دقيق الملاحظة للجزئيات والكليات والأبعاد السيكولوجية .. لا للفوضوية والحيوانية .. نعم للتخطيط وبعد النظر والمنافسة الشريفة والمثابرة .

والفنون أدوات راقية لتجميل كل الأمور بل ولبناء الجمال في كل مكان .

غريزية الفن لدى الإنسان

هناك عدة آراء تقول :

١ – **الفن صنيعة الغريزة الجنسية** : يتجمل كل من الرجل والمرأة لصاحبه تلقائيا – الملابس – الأصباغ – الشوارب – نبرات الصوت – رسم الخطوط لإضفاء مبالغات الجمال – تجميل الشعر .. هذه الأمور منذ العصور البدائية .. ومازالت.

٢ – **الفن من الحركة والمجهود** : « شق الأخشاب – حمل الأثقال – إيقاع المشى – دوران العجلات والآلات » صدر عن ذلك منذ نشأة البشرية – الإيقاع الموسيقى – الغناء – الرقص – الترتيب – التنظيم الفنى – التنسيق الجمالى .

٣ – **الفن من معطيات وانفعالات الحرب** : حتى الحيوانات وقت التشاحن تصدر عنها أصوات خاصة وإيقاعات حركية وطقوس كعمل إيهام ومبالغات نفسية – وهكذا الإنسان منذ فجر التاريخ وقت الحرب والمعارك .. طبول الحرب والموسيقى العسكرية والأناشيد الوطنية ، أزياء الحرب والدروع والأقنعة والفيلة المطهمة ونار الحرب والأعلام وتماثيل تمثل العدو يتم إحراقها للتعبئة المعنوية – الصياح للتخويف وقت التقاتل بالسلاح الأبيض – ومن هنا – ودون أن يعلمه أحد – جاء الإنسان الأول بالنحت والموسيقى والرقص .

٤ – **الفن من الدين** : حتى الإنسان الأول كان يتحرك في حياته اليومية وفي خياله ووجدانه احترام وتقدير قوة قاهرة خفية – كالأصنام أو النار أو غيرها – يهرع إليها يحصل منها على الإذن قبل الحرب أو قبل الصيد – ولم تكن الرسوم الجدارية على كهوف الإنسان البدائى – في عصور ما قبل التاريخ – إلا مثالاً لذلك الأمر فكان الإنسان الأول – مثلاً – قبل أن ينطلق إلى الفلاة والفيافى للقنص كان يجتمع هو ورهطه حول تماثيل للآلهة فيرقصون حولها

كطقوس لاستدرار رضاها وينطلقون للصحراء فيعودون موفقين .. وكذا كان يحدث أن يقوموا برسم عدد من الأيائل أو الغزلان على جدر الكهف كناية عن أن هذا العدد هو ما يرجون من الآلهة أن يسمحوا بصيده وفعلا يمارسون طقوسهم حول الآلهة متملقين راجين أن يسمح لهم بصيد ذات العدد من الفرائس ، ثم ينطلقون على رحلة الصيد معتقدين أن الآلهة والأصنام قد سمحت لهم بصيد ما قد عقدوا العزم عليه فعلا .. ومن العجيب أن النتيجة كانت تتلاءم مع ما اعتقدوا ـ ومن هنا جاء التصوير والنحت والرقص والموسيقى بالفطرة .

٥- **الفن من اللهو والتسلية** : أصحاب هذه النظرية يرون أن الفن سلوك فائض وطاقة زائدة ومتنفس مثال ذلك أن الإنسان حين يخلد إلى السكون بعد عمل أو حين يعانى من فراغ ينزع أحيانا للنبش بأصابعه في التراب أو النبش.بقلم على ورق أو التمايل بجسده بإيقاعات تلقائية أو الترنم بصوته بعفوية . ومن هنا كان الرقص والرسم والغناء منذ الإنسان البدائى وحاليا لولا الوقت الزائد وفائض الطاقة لما جاءت حفلات السمر والنزهة والترويح وتذوق الفنون المختلفة في الراحة في الوقت المتاح كفراغ بعد العمل .

الفن والعلم

افتح النافذة تجد لوحة حية طبيعية متحركة إطارها أضلاع الشباك .. هذه الحياة متوافر فيها الجمال في كل مكان .. الناس والحيوان والسماء والماء والطيور والأشجار والثمار .. كل المخلوقات فوق قشرة الأرض .. ونحن نقوم بتقليد هذه الطبيعة .. وقد سبق العلم إلى الأعماق في الأرض والسماء داخل شرايين الإنسان وعظامه .. داخل خلايا الحيوان والنبات بالاستدلال والقياس والاستنباط والتحليلات .. وكلما صار الفن مواكبا سابقا هو الآخر باحثا مستلهما الإبداعات من أعماق الأمور كلما كان ذلك أجدى وأرقى .

في عام ١٩٦٠ كنت في حديث وتحاور في مجالات الفنون مع أحد أصدقائى وكان طبيب امتياز بمستشفى المنيرة بالقاهرة فقال لى : « أنتم معشر تلاميذ الفن تدعون أنكم تعرفون كل شيء في حين أنكم لا تعرفون حتى أنفسكم » ودعانى

للنظر فى المجهر (المايكروسكوب) قائلا : « انظر .. هذا وعاء دموى .. ثم هذه خلية من جلد إنسان .. وهذه قطرة من بول .. أرأيت البلورات والأهوال والعجائب ؟ إذاً فإن ما ترونه وتحاكونه فوق قشرة الأرض وبالعين المجردة قاصر وقليل تدورون في فلكه ثم تعودون على نقطة البدء مع أن البحث في الأعماق أمور متجددة لا تنتهى !!» .

ومن وقتها وأنا أفكر كثيرا قبل أن أقوم بتصوير واقع مجرد .. أنقل مجرد النقل أصور بالتكبير أو المماثل أو التصغير أستعبد بصرى لينقل شكلا في إطار جامد ميت ، ولكن الصواب أن أصور الكلمة .. الفكرة .. البعد الجديد .. الأفق الذى لم يطرقه أحد فأبدع صفحات متجددة من الفكر الحى الطازج يخلق مجالات وأبعادًا لم تكن موجودة .

الشكل الفنى

لا يجب أن نحمل الشكل الفنى أكثر من احتماله ، فالموضوع الفنى له رسالة وفكرة معينة لإبرازها وتوضيحها وتقديمها ، وكلما كانت الفكرة واضحة هادفة .. رشيقة ومؤثرة وذكية ولبقة كان ذلك أجدى وأوقع ــ مثلما تكون الوجبة الغذائية رشيقة الحجم مؤثرة الفائدة ، فالمهم هو الجوهر المحسوب وليست زوائد الحشو لمجرد الملء وزيادة المرادفات الضحلة ـ فإن الطبيب الذى يزيد في عدد الأدوية الموصوفة بلا داع يدلل بالتالى على قصور قدرته العلمية على الإحاطة بالتشخيص .

كذلك الشكل الفنى .. المبالغة فيه وعنه تضر بالتكوين والفكرة والعمل الفنى والمتذوق ـ فيكفى تجريد الفكرة عن الزيادات والتى تطفح فتصير غريبة كالمقحم نفسه بلا دعوة ولتكن كل لمسة في الشكل ضرورية ومحسوبة لا غنى عنها .. بدونها ينفرط العقد ويبعد الهدف .

وإن القالب الفنى هو المنهج والشكل والطبق والإطار والغلاف والحبكة التى تضبط العمل .. والفرق شتان بين طعام جيد يقدم في نفس « الحلة » المطبوخ فيها مباشرة وبين نفس الطعام يقدم على آنية مناسبة بإخراج جميل وتنسيق وترتيب ، فهناك عناصر ضرورية هى هنا أسس فنية يلتزم بها الإنسان

الفنان .. الفكرة .. النظرة .. الإثارة .. النبل .. العطر .. الموسيقى .. الحب .. المشاعر .. اللمسات .. الأهداف .. معرفة التفاصيل الدقيقة .. بعد النظر .. التكوين المهضوم .. هذا الجسد النسائى أو الرجالى لابد له من إطار .. فإذا اختلف الإطار اختلف التقدير رغم أن الحشو هو هوَ .

كذلك البناء.. السيارة .. القضية التى تُعرض .. فإن لمسة فنية مرهفة تضاف على الشكل أو الأمر ممكن أن تغير الموقف كلية .. وياله من تغيير .

إن الجمال هو تقنين وسلامة للشكل أو الأمر وضبط وارتقاء وإبهار .

نحن نفكر ونشكل الألفاظ التى نتفوه بها .. نحن نخطو بأقدامنا .. يمينا ويسارا نهرول أو نتباطأ وبالخطأ أو الصواب .. إن الألفاظ والأعمال مسئولية فنية .. الفكر والتخطيط والتنفيذ مسئولية .. النظافة والنظام والترتيب أمور لها أهميتها للدلالة على تكريس الفن فلا فنون بدون تخطيط وترتيب ونظام وإقناع ورسالة وروعة المنظر .

الفنان مثالى .. نظيف في خطواته وسلوكه وألفاظه .. ليس هناك تهريج أو تخبط أو عربدة باسم الفن ولا تبريرات وانحرافات باسم الفن ولا (فهلوة) أو محسوبية أو سرقة باسم الفن .. بل الكرامة والقدوة والتسامى « والنزاهة » .

الألوان

الألوان التى تباع فى المحلات التجارية والمكتبات هى أصباغ لزخرفة الأشياء، الألوان تصبغ الأشياء فتظهر جمالها .. وتزيد من قيمتها .. الألوان تؤدى إلى التباهى والابتهاج حين رؤيتها .. وهى من النعم التى يتمتع بها الناس .

الله الذى خلقنا قد خلق الأرض وأبدعها بالألوان والأزهار والأشجار حتى الصحراء والجبال حتى السماء والحيوانات والطيور .

من الألوان التى نعرفها .. الأحمر ـ الأصفر ـ الأزرق ـ والبنفسجى ـ البرتقالى ـ الأخضر ـ البنى ـ هل نتصور أن نتناول الثمار مثل المانجو والبطيخ والبرتقال والتفاح والفراولة والمشمش وسواها بدون ألوانها ؟ .

الألوان التى تباع بالمحلات (البوية والدهانات) أو بالمكتبة بالرسم ـ يتم

إنتاجها بواسطة شركات ومصانع فتتحول من خامات صخرية من الجبال ومن البترول وأكاسيد المعادن إلى ألوان سائلة فى العلب وأحياناً مساحيق يمكن خلطها أو مزجها بالماء أو زيت بذر الكتان لتصلح للطلاء ـ أما بالنسبة لألوان الرسم فهى الأصباغ مثل (الفلوماستر) أو الألوان الزيتية فى الأنابيب أو المائية أو الشمعية .

أما مصانع صباغة المنسوجات فتنتج الملابس التى يرتديها الناس مطبوعة بالألوان والزخارف المختلفة .

ومن أجل جمال الألوان نحن نشترى الملابس فنقول مثلاً .. إن هذا القميص ذوقه جميل ورائع فنقتنيه ونزهو به ، وقميص آخر ذوقه ليس كما ينبغى فنشيح بوجهنا عنه ، فالألوان هى الأهم عند الشراء .

لقد أصبح الناس كأنهم فنانون يفهمون فى ذوق الألوان وأعمال الديكور يعنى الزخرفة ويتكلمون فى هذه الفنون كأنهم محترفون عالمون .

والإنسان يصنع ملابسه ويزخرفها ويصبغها ولكن المخلوقات الأخرى جاهزة بريشها وجنودها سابقة الأشكال والألوان .

أين الألوان فى بيوتنا ؟ هى على جدران البيوت الخارجية والداخلية ، وما يشمله البيت فى حجراته من مفروشات كالسجاد .. والستائر والمقاعد وغرفة الجلوس (الصالون) .. والأغطية .. حتى الصور وإطاراتها .. وكلما نظرت يميناً وشمالاً فى البيت تجد الألوان .. كلما كانت هناك الألوان كلما كان هناك الافتخار والتباهى .

إن شعارات وكرامات الدول تتعلق برموز هى ألوان الأعلام التى تدل عليها ويرتبط بذلك تلقائياً موسيقات السلام الجمهورى الوطنى .. والملكى والأميرى وهى فنون تسري فى دماء الجميع .

إن الألوان هامة جدا في أسواق البيع والشراء .. فالذى يريد أن يبيع منزلا ـ يطلب ثمنا كبيرا إذا كان طلاء المنزل جديدا وجميلا من خارجه ومن داخله .. وكذلك الذى يعرض سيارته للبيع إذا لم يكن طلاؤها بلون جميل فإن ثمنها يكون أرخص .. والألوان تدارى عيوب الأشياء وتجعل القديم جديداً وفي الجمال والقمية يزداد شأناً .

والحديقة تزهو بزهورها في الربيع وفي حديقة الحيوان يفتخر الطاووس كذلك بألوان ريشه .. والإنسان ـ منا ـ صاحب الثوب الجميل في ألوانه ـ يختال ثقة وشموخاً .. ولا تكون الأعياد أعيادا إلا بالثياب الجميلة الألوان ـ حتى أغلفة الكراسات والكتب المدرسية تتجمل بالألوان .

وفي المتاجر نجد البضائع مرصوصة على الأرفف بألوانها تعرف ما بداخلها من لون كل صنف فتشترى بحسب اللون فقط .

ونحن نعرف جميع الألوان : الأحمر ـ الأصفر ـ الأزرق . وهذه الثلاثة أساسية لا يمكن استخراجها من سواها ولكن يمكن استخراج ألوان أخرى منها مثل : البنفسجى من الأحمر مع الأزرق ، والبرتقالى من الأحمر مع الأصفر ، والأخضر من الأزرق مع الأصفر ، والبنى من الأحمر مع الأصفر مع الأزرق ، أو من الأحمر مع الأخضر .

وأين اللون الأسود واللون الأبيض واللون الرمادى ؟ أما فهذه الثلاثة فإنها ليست بألوان وإلا لقلنا عن التليفزيون القديم (الأبيض والأسود والرمادى) أنه بالألوان .

ويقال أن الأبيض هو الضوء الشديد ، والأسود هو الظل الشديد بينما الرمادى هو مزيج من الاثنين . ومن المهم أن نقول :إن الرؤية بالبصر لا تتحقق فى الظلام الدامس (الأسود) أو بالضوء المبهر الشامل (الأبيض) ولكنا عادة نبصر ونرى ونتبين ما حولنا عند اختلاط الأبيض بالأسود وهو الضوء مع الظل ويستخدم الأسود فى الرسم لتحديد الأشكال وتدعيمها لإظهار بريق الألوان إلى جانبها ـ واللمسات بالأبيض هى لعمل الإضاءة وزيادة النور ـ وإن لم يكن الأبيض والأسود ألواناً فهى صديقة الألوان ولضرورة الرؤية وكلما زاد الأبيض بمقدار كلما كان اللون بدرجة أفتح وإذا أردنا اللون أفتح وأفتح نزيده بالأبيض أكثر وأكثر ، ولا غنى لجميع الألوان عن الأبيض .

ويقول الناس أحياناً : إن هذا اللون منسجم مع ذلك اللون الذى بجانبه يعنى بينهما قرابة أو صداقة أو توافق أو عامل مشترك ، مثل الأخضر ينسجم مع الأصفر لأن بالأخضر أصفر ـ عامل مشترك ـ (فهو أزرق وأصفر ممزوج) ــ

والأحمر ينسجم مع البرتقالى لأن بالبرتقالى أحمر (فهو أحمر وأصفر) .

كذلك الأحمر منسجم مع البنفسجى ، فالبنفسجى أحمر وأزرق - والأزرق منسجم أيضاً مع البنفسجى لأن البنفسجى به أزرق .

وكما قلنا :الأسود والأبيض ليست ألواناً ولكن الرمادى - الذى هو الآخر ليس لونا - ولكنه ينسجم مع الأسود لأن به أسود وينسجم مع الأبيض لأن به أبيض . وهناك أيضا ألوان متضادة حين يقترب أحدها من الآخر فإن الرائى يشعر ببريق التنافر بينهما لعدم وجود عامل مشترك بين كل اثنين منهما مثل : الأصفر ضد البنفسجى - الأحمر ضد الأخضر - الأزرق ضد البرتقالى . وطبعاً الظل الشديد (الأسود) ضد الضوء الشديد الأبيض .

وهناك ألوان من خصائصها الدفء والبروز بمعنى أنها تتقدم للأمام مع إشعارنا كأنها حارّة أو ساخنة كالأحمر — أما الأزرق ودرجاته نشعر كأنه بارد يعود للخلف هادئ يصلح لتصوير الأعماق كالسماء والماء - ويزيد الشعور باتساع المكان فى حالة طلاء المساكن من الداخل والعكس بالنسبة للأحمر ودرجاته .

وتنتشر بين الناس عبارات ومسميات عن الألوان كلها أو بعضها فيقال : « الفوشيا - الرصاصى - الفيرانى - البامبى - البصلى - الموف - البيج - السماوى - كمونى - أخضر زرعى - كناريا - طرابيشى » وغيرها من الاجتهادات الساذجة الغير مستحبة .. هى فقط من لغة العامة من الناس من الأميين .

العمل الفنى الناضج

هو المتكامل النظيف الذى قد حقق هدفه .. العمل الفنى الناضج .. سليم ممتاز مبهر ناتج عن فكر وتخطيط قد توافرت له الخامات المستخدمة في إبداعه حتى خرج خلقا جديدا يسر الخاطر .. قبل إنتاجه وإبداعه ، خاماته لها قيمتها .. وبعد إبداعه صار عملا أكثر قيمة بكثير .. أما إذا تخبطت الخامات وتوسخت فقد ضاعت الخامات وفشل العمل .. مثل الطعام .. هو خامات كالأرز واللحوم وما سواها .. هى تساوى ثمنها ويبدأ طبخها وإنضاجها من خبير وفنان حتى تخرج الوجبة جميلة الشكل جذابة الرائحة مغذية مفيدة ذات ثمن

أغلى .. فإذا توقف الإنضاج في منتصف طريقه ضاعت الوجبة وضاع ثمن الخامات وكان الأمر مؤسفاً .

إذاً لابد من الكفاءة والأستاذية عند توافر الخامات حتى يكون هناك عمل إبداعي وإضافة مشرفة يعتد بها .. أما أن يأتى مدعى يتمايل يمينا وشمالا يدخن ويطلق لحيته ويتحرك بفوضوية وهنجعية وهو فارغ اللب ليقول بأستاذيته واحترافه فلا يعتد به ولا قيمة لإنتاجه وتخبطاته ولا يكون له في القدوة والريادة حق .. وسائر الخامات هكذا .. الأسمنت والرمل خامات لها ثمنها .. وإذا استخدمت في البناء فلها ثمن أكبر .. أمّا أن تعجن وتترك أو تتناثر وتهمل فقد ضاعت وأضرت .. كذلك الملابس ـ أما الخامة كالقطن فله ثمنه واحترامه .. ثم الثوب الجديد النظيف له ثمن أكبر .. أما الثوب الخَلِقُ أو المتسخ أو ذو العيوب في التنفيذ فلا شيء ولا يحترم .. فالفن القدوة والنظافة والنظام والأستاذية هى أسس الإبداع ـ كذلك العمل الكامل المتكامل ـ .

عدوى الفن

النظافة .. النظام .. التخطيط .. الأسلوب .. الترتيب .. التجميل .. الابتكار .. التجديد .. المثالية .. هى ومثلها أسس لتقديم الأعمال الفنية إلى الحياة من فنان أستاذ ملهم مبدع متخصص متجرد عن الدنايا .

ولذلك فالآخرين يتمنون أن يكونوا مثله فيتعلمون منه ، ومن هنا صارت عدوى التقليد .. فالذى ينبغ في عمل فنى نجد من يحاكيه متباهيا ... فإن لم يستطع فمقلدا .. ومن يبتكر الأزياء .. سريعا ما يستجيب له النساء والرجال لتنفيذ الموضة ـ وصاحب الحظ الأوفر من يكون في الصف الأول عند التقليد ثم يليه الباقون في السباق .. والذى يصنع الجديد نلاحظ أن حظه أوفر في إقبال الناس عليه للإفادة منه والانتساب إليه والتباهى للحصول على منتجاته إن كان مصورا أو مهندساً أو نجارا أو مصمم أزياء أو مقاولا أو بستانيا ومن المضحك المؤسف أن هناك من لا يستطيع أن يقلد فيسرق الفكرة كبعض الكتاب أو يسرق العمل الفنى كسرقة لوحات كبار الفنانين سواء للتفاخر بها ككنوز أو للاتجار في قيمتها .. ومنذ القدم درج المستعمرون على سرقة مقتنيات وآثار

ودعائم حضارات مصر القديمة ونقلها إلى بلادهم للتمسح بالمعطيات المبهرة التى تشعها يظنون أنها تمنحهم الحضارة التى يفتقدونها ـ ولقد قمت بزيارة أغلب العواصم الأوربية وشاهدت بنفسى فى كل دولة ردهات (وفاترينات) وصالات معروض بها الأعمال المصرية القديمة .. بتراجم كاملة على كل قطعة بالمتاحف وهناك بعض القطع بالميادين فيجب أن نعلم علم اليقين أننا أصحاب أعظم تراث في العالم وأبناء أفخم حضارة تعتز بها الإنسانية !!.

الفن والعلاج النفسى

المدارس هى أكثر المؤسسات انتشارا .. وهى سفن الطلائع لتجهيزهم العلمى والنفسى .. العلمى بالكتب ، والنفسى تربوياً بالفنون والرياضة البدنية وأشهر المواد الفنية بالمدارس هى التربية الفنية ـ وإن كان هناك بعض التوابع التى يشملها بعض الإهمال كالموسيقى والهوايات .. وإن طوفان النشاز الموسيقى المتوافر حاليا وحديثا يحتاج إلى مراجعة .

والأساتذة بالمدارس بعضهم ليس بمجهز بما يكفى من الكفاءة يعوقه زيادة عدد التلاميذ فوق الأربعين وحتى السبعين .. وضآلة الخامات .. وطبعا لدينا الأمل والرجاء في تلاشى السلبيات التى عادة ما تدوم بدوام دولاب الحياة وحيويتها .

يقال: إنَّ التلميذ يعرض المخبوء من نفسه ظاهرا في عمله الفنى .. فإذا كان في درس التعبير الفنى بالرسم على الورق ومارس خطوطه بالقلم الرصاص ويستخدم الممحاة باستمرار فهو متردد ضعيف الثقة بنفسه خائف .. ولو طمأنه المعلم ورضى بإنتاجاته وتعبيراته كما جاءت دون إزالة شيء منها ـ بل والثناء عليها ـ وعرضها فى مراحل مرة بعد مرة وتشجيعه لتقديم البرهان على صعود مستواه الفنى وتقدمه .. سيكتسب الثقة والسلامة النفسية .

فإذا لجأ إلى رسم الخط بالمسطرة ـ عند تنفيذه لتعبير فنى مطلوب منه ـ فهو عند فرض تنفيذه الخط بدون مسطرة يشعر كأنه سيغرق في بحر وأنه لا يستطيع بل ربما يبكى كالتائه فى الصحراء .. فهو إذاً يعتمد على الآخرين ويركن دائما إلى من سواه لشعوره كذلك بالإنهيار النفسى وأنه لابد أن يركن للآخرين ويستند إليهم .. والعلاج مثل الأمر السابق مرة فمرة يعتمد على خط يده ويبنى

ثقته بنفسه ويكلفه المعلم بمهام ويمتدحه أمام زملائه ويعرض له أعماله ويذيع اسمه في طابور الصباح مع المتازين ويساعده أن يلقى بعض الكلمات في (مايكروفون) المدرسة في الطابور .وقد سبق التنويه.

كذلك علاج التلميذ الذى لا يجيد التنسيق والترتيب فيكون طبعه تلويث يديه وملابسه وكتبه وأدواته في دروس التربية الفنية فلا يعالج بالتوبيخ والضرب وإنما مرة فمرة بالتوجيه ثم بالثناء على نظافته .

التلميذ الذى يصور إبداعاته الفنية ويشكلها صغيرة ضئيلة في ركن ويترك الساحة خالية .. فهو عادة منطو نجده في الساحة المدرسية قبل جرس الطابور قد تكوم في ركن يخشى أن يختلط بالآخرين .. فيوجه بأن يكبر تصميماته ويدخل في ساحة العمل بجرأة مرة بعد مرة مع الثناء عليه وطمأنته .

كذلك من ينفذ تصميمات متناثرة مع أنها لموضوع واحد فبدلا من أن تكون في تكوين متماسك متكامل مترابط قوى نجدها مفككة كل جزء بمفرده نموذج ممسوخ لا صلة له بما سواه .. كناية عن علاقاته الاجتماعية الغير سوية .. لا يستطيع أن يتفاعل مع المجتمع وهو ضعيف في الممارسة الفنية والرؤية الفنية للطبيعة وعناصرها فيساعده المعلم ويشجعه .. فيكون هنا الإصلاح التربوى عن طريق الممارسة الفنية التى هى التربية الفنية من معلم قوى الشخصية سليم النفس بطبيعة الحال .

كذلك من لا يجيد اختيار الألوان المبهجة فهو عادة يجنح للألوان الحزينة الكئيبة كأنه يخاف من اختيار الألوان الصافية المفرحة المتألقة .

لا بأس أبدا من قيام المعلم .. معلم الفنون بل وسوى معلم الفنون بمتابعة التلميذ نفسيا واجتماعيا وزياراته بمنزله للاطلاع على أحوال من هم في ظروف سيئة من تلاميذ المدرسة الموجودين في أسر غير سوية فالإخصائى الاجتماعى عادة بعيد عن التلاميذ مشغول بميزانيات الرحلات وتسوية السجلات الرياضية والجوائز .. أقول ذلك وكأن الفصل الدراسى ثلاثون تلميذا فأقل أنا أتكلم عما ينبغى أن يكون هو حق التلميذ الذى يرتاد سفينة الطلائع .

وقد سرني أن أسمع خلال هذا الشهر (مارس ٢٠٠٤م) القرار الوزارى بالتوعية الصناعية في جميع المدارس وتنفيذ (ورش) صناعية إنتاجية اقتصادية (أساسها طبعا الفن) وذلك لكسب الكثير من المزايا وللتشجيع المادى للطلاب الذى يحفز كثيرا ولزيادة حوافر المعلمين ولتجميل المدارس أكثر فأكثر .. لتكون التربية الفنية وكما هى دائما مرتبطة بالوعى الصناعى بالمدرسة .. والشيء الجميل عادة هو المصنوع بإتقان وكمال وجمال .

التعبير الحر لدى الطلائع

مثلما يكون هناك طعام أو استيعاب فيكون هناك إخراج .. حتى رى المزروعات يلزم بعده الصرف ، والضغط النفسى يلزم عنده التنفيس والفعل ورد الفعل Reaction حتى الصدى .. رجع الصدى والتدريب على الممارسة للتعبير الحر لدى الأطفال نلاحظه بالصياح والبكاء كناية عن توافر ما يدفعه للشكوى .. وهو يدرب عضلاته بالحركة الدائمة ثم اللعب .. والتعرف على الخامات واللعب والفك والتركيب والتكسير والميول العدوانية والانتقامية أحياناً.. يريد أن يفرغ ما يجده من مشاعر الكبت أولا بأول فإذا لم يستطع كأن وجد تخويفا أو ضغوطا أو مصادرة لحريته أو قهرا لمعطياته السلوكية تسبب عن هذا الجنوح والانحراف والأمراض النفسية والعصبية نتيجة للقهر .. وكثيرا ما يكون في أسرة الطفل من يؤذيه ويحمله فوق احتمالاته فيعيش فى مرحلة ليست مرحلة عمره فيشب عن الطوق غير سوى مجرثم معول هدم في جدار المجتمع.

ومن أدوات تفريغ الضغط النفسى والتنفيس : مجالات التربية الرياضية في المدارس والنوادى لأن أساسها الجهد العضلى - وإن كانت التربية الفنية في المرتبة الأولى إذا توافرت الخامات - لأن التعبير الحر والتنفيس يتم والطفل في مكانه .. وقرر المطورون في التربية وعلم النفس أن التعبير الحر ضرورة للطفل .. والطفل يحتاج إلى التعبير الحر لأنه يحتاج إلى إثبات ذاته .. والطفل الذى يلاقى ضغطا في منزل الأسرة هو أكثر التلاميذ ضجيجا في الفصل .

فلا يصح أن يتحمل الطفل أكثر من احتماله لا في البيت ولا في المدرسة وأن يحاط بالتشجيع والحب وأن يوجه بلطف ومن حوله القدوة الطيِّبة .

وأحلام اليقظة هى إحدى طرق تعويض الحرمان بأن يظل يتخيل ويتصور ويصنع لنفسه عالماً جديدا يناسبه ويبدع كل الصور والمعايش الخيالية التى يرجوها هرباً مما يلاقى من تجاهل أو قسوة أو حرمان من مصروف أو نحوه مما قد يئس من انفراجها .. فهو يقبع في ركن أمين بمفرده ويظل يفكر ويتخيل ويصنع الأفلام المصورة .. والإفراط والاستمرار في ذلك من دواعى المشاكل النفسية العقيمة .

وليس هناك ما يعيد الثقة بالنفس غير التعبير الحر التلقائى سواءً بدنياً أو فنياً فهو ضرورة لمساعدة الطفل أو المراهق فى التنفيس عن مكبوتاته .. ويقال إن التعبير الحر يميط الغطاء عن العقد في نفوس الأطفال فهو كأنما بخطوطه التلقائية العفوية يفرغ شحنات آلامه ويصرف ضغوطه ويشعر في كل مرة براحة كأنما قد وضع أحمالا عن كاهله .

أما تكليف الطفل بالنقل طبق الأصل أو إلزامه بتقليد أشجار مجرد أشجار طبق الأصل أو أشخاص أو نهر أو بيت ويكون الأجود والأفضل أن يقترب من مماثلة عمله للطبيعى ـ فذلك إلغاء لميزة تعبيره الحر فهو إحكام وبرشمة للغطاء على نفسه وتجاهل لما بداخل نفسه من مكبوتات وتبديد للنزعة الابتكارية والإبداعية التى يجب أن تكون بعد صفاء نفسه وشفائها وتحررها من العقد والضغوط .

ضرورات حرية التعبير لدى الجميع

إذاً ضرورة ممارسة التعبير الفنى الحر سلامة لنفوس الجميع ـ الكبير لابد أن يخرج تعبيره الحر من قناة العقب والمسئولية ، تعبير حرّ مُرشَّد ليس مجرد تصايح وشخبطة كالطفل بل يميز بين الغث والسمين .. يرفض السيء ويختار الجميل فيبدع الجميل ويعبر عنه ارتياحا لرؤيته وممارسته والارتقاء به .. يزداد إحساسه بالعناصر الفنية فيتذوق ما تحتويه هذه العناصر ويدقق النظر في تفاصيلها ويشير إلى الأفضل والأرقى بالاستحسان وما دون ذلك بأنه أقل فى القيمة .. ويقول رأيه بحرية تامة دون ضغوط من أحد بل بشجاعة أدبية ـ كما يقولون ـ وحرية التعبير والرجوع إلى الحق من معطيات النقد .. فالنقد للذات والنقد للآخرين

وتقدير أعمالهم ومساعدتهم في تجويدها وإبداع ما هو أفضل منها والمنافسة الشريفة فكلنا في مجالات التعبير الحر نصنع الخير على كوكبنا الجميل .. كوكب الفن .. أما حرية التعبير في الخفاء أو في حماية وساطة .. والعدوان فهى أعمال وحريات شكلية مريضة تسر أصحابها بعض الوقت ولكنها لا تشرفهم ولا تبنى حضارة وهى من الجوانب السيئة الاستثنائية .. والخير والشر هنا وهناك .. ونحن نميل إلى كل الخير ما استطعنا .

لو تكلم الإنسان ـ الناضج ـ الكلمة كما يحسها وكما يريد وبدون غلاف أو طريقة أفضل وبدون حساب لمن حوله لما أقره عليها أحد إن كانت ستضر أو تجرح أو تهدم لأنه في مجتمع .

فن التربية

إن تربية الطفل وتجهيزه في أسرته مع والديه أمور غاية في الأهمية والفنية .. هناك أولاد وبنات قد تخرجوا في بيوت يرأسها أبوين أُمّ وأب أو أحدُهما قد صنع لولده أو ابنته المعطيات الفنية التى قد أهلته بعد ذلك للخروج إلى الحياة شخصية قد تكلفت الكثير .. مكتملة العناصر الفنية الإنسانية والأدبية جوهرة تمشى بين الناس تضيء وتهدى وتبدع .. خامة عظيمة القيمة لإبداع الجمال حيثما وجد .. لابد أن يكون ممتازا .. قد تلقى كل الإخلاص والإتقان والاهتمام لحظة بلحظة فهل نراه يعكس من نفسه وإمكاناته سوى ذلك ؟

أمال الطفل الذى يوجد في منشأ مجرثم أو تافه أو من أبوين مهملين فهل نراه بعد سوى خامة رديئة أينما توجهه لا يأت بخير ؟ فماذا ننتظر منه سوى مثل ما قد تلقى ؟ .

والدولة عندنا تهتم بالطلائع فترصد المبدعين وترعاهم وتدعمهم لتنمية قدراتهم وكنوز مواهبهم .. فالواحد منهم بمائة مليون من سواه .. هذه ذخيرة كاللؤلؤ .. كالشمس نبع فياض من الخيرات .. سحرٌ أخاذ تفيد منه الدنيا .. أما الآخرين من التافهين فإما يفسدون ولا يصلحون ويستشرى بهم التدهور وإما يكونون عالة على من سواهم وإما على أحسن الفروض لا يفيدون سوى أنفسهم والحيوان أفضل منهم فهو يفيد صاحبه وينجب ما يفيد صاحبه هو

الآخر .. أما ذاك فسوف ينجب من يكون مثله إلا إذا حدثت معجزة وراجع نفسه وحاكى الأسوياء .

الإنسان الفنان في المجتمع

لا يكون الجمال أو سمو التعبير من ناحية .. أو التدنى أو الغوغائية من ناحية أخرى أمورا تتضح وتتباين إلا في إطار حياة اجتماعية فلا غنى عن الوجود الاجتماعى أو المجتمعات الأسرية والقبائلية لحدوث التفاعل والتعاملات بالنشاط الاجتماعى الديناميكى - ونحن حين نبدع الجمال فنحن نعيش فيه فى ذات الوقت الذى يعيشه الآخرون ويكون من المدركات التى تؤثر في المجتمع - وإننى أحكم على ميزان الجمال والجودة لدى الأشياء من خلال المؤثرات والانطباعات التى انعكست كردود فعل من مشاعر الناس في المجتمع - وعندما أتطاول فإنما على آخرين ، وعندما أتواضع فأيضا نسبة على من هم حولى ، وبدون المجتمع فلا قيمة لشيء ولا حياة - فإن كنا نضفى ألوان الأدوات والأعمال الفنية من حولنا في كل مكان ونهيئ المنتجات الفنية فبالمجتمع وللمجتمع ونحن ننتقى ألوان كلماتنا ودقائق الحروف والمشاعر فى ألفاظنا وانفعالاتنا مثل : « شكرا ، تحياتى ، من فضلك ، يوم سعيد ، صباح الخير ، اقبلوا احترامى ، أخجلتم تواضعنا ، جزاكم الله خيرا ، شرفتمونا ، أطيب التمنيات » فلأننا نعيش في الأسرة الكبيرة الحتمية والتى لا تصح الحياة بدونها.

وإن التعامل مع النفس الإنسانية لهو أمر بالغ الأهمية والخطورة ، فالشخصية الإنسانية ليست طماطم أو لحوم للتناول أو فاكهة وإنما هى أجهزة رهيبة بالغة الدقة والأحاسيس تحتاج إلى تعامل خبير بالغ الحنكة والتمرس .. ونحن ندرك أن كلمة واحدة بسبب طريقة إلقائها تحدث إصلاحات وإعمارات أو تخريب .. وصل أو قطع .. حرب أو سلام !!

ونحن لابد أن ننظر للأفلام والتمثيليات القديمة والجديدة لا يخلو منها التدخين واحتساء الخمر والأطفال ينظرون ويقلدون .. لماذا يحدث هذا ؟.. ومن المسئول ؟ .

التذوق الفنى

لفظة التذوق واضحة المعنى لنا .. نفهمها منذ الطفولة ونحن نتذوق الطعام (أو نذوقه) يعنى مدى القيمة التى تصل إلى أحاسيسنا من طعمه ونحن نزدرده أو نمضغه ثم نبتلعه ونستطيع أن نقول عن مشاعرنا إزاء هذا الطعام أو ذاك: إن هذا أفضل أو أمتع أو أكثر فائدة أو زائد الملوحة أو لطيف المذاق أو ذا رحيق طيب أو ألذ من سواه .. أو يسبب الكدر والنفور لمرارته أو حموضته أو ينقصه النضج .. على غير ذلك .. نقد وتقييم .

أما بالنسبة للمشاعر الروحية كتذوق الموسيقى بالاستماع ـ والتى لا علاقة لها بالمعدة أو المضغ (والفيتامينات) أو مشاهدة المباريات الرياضية أو الشطرنج أو نحوه ـ وإن كان هناك فرق جوهري ـ إلا أن المقاييس واحدة بين الارتياح والشعور بالمرارة .. بين الإمتاع والتلذذ والنفور مما يثبت أن هناك أجساماً وأرواحاً ولكل أحاسيسها ومشاعرها وأغذيتها .. ذلك تذوق فنى للفنون وذاك وإن كان تذوق للطعام فإنه أيضا أمر فنى ولا بأس .

كذلك عند سماع الأشعار والقصص والمقالات .. وعند مشاهدة وسماع المسرحيات والأفلام والتمثيليات وعند معايتنا لسائر الأحداث فإننا نتذوق الجميع .. وفي المذاق متابعة ونقد وتقييم ورأى للتقويم ، وبالمناسبة فالتقييم القيمة ووزنها ، والتقويم بخصوص الإصلاح والضبط للأمور .

والفنون التشكيلية كذلك يلزمها النظر والمتابعة والنقد .. يعنى تذوق عناصرها ووزن قيمتها الفنية ابتكارية « إبداعية » التكوين ـ الشكل ، الكتلة ، اللون ، الملامس ، الخطوط ، التوازن ، البناء المعمارى ، وماذا قد أحدثت من أثر في نفس الرائى من انفعالات وإمتاعات وإقناعات؟».

لغة التذوق

تكلمنا عن لفظة التذوق في سائر المجالات الفنية من إبداعات .. ماذا يقول التذوق؟ وبماذا يصيح أو يصرخ ؟ ؟؟ إنها أمور تحدث بداخلنا مشاعر أدق بكثير مما يسمونه بالكمبيوتر .. إنها أمور ليس لها كلام ظاهرى بل إن كل شيء

يتم تذوقه ووزنه وتقييمه شكلا وموضوعا جملة وتفصيلا بمجرد النظر والتذوق والمشاعر .. والموسيقى فقط بمجرد السمع والتذوق والمشاعر .

وعادة عندما لا يرى الإنسان منا داعيا لأن يتكلم - تكون البلاغة أوفر والجمال والمهابة ، وأحيانا تكون الإشارة بالرمز والإيماءة ، ويعتبر هذا أرقى شأنا من التلفظ الدارج المفطور عليه الناس فالتعبير بالرموز الفنية بالتالى أمور حكيمة أساسها عمق الثقافة والفكر والترفع .. وكلما كثر الكلام في أمر دلّ على ضحالة الفكر وتدنى الأمر .

وهناك إمكانات أغنى لكل فن صامت فالموسيقى بمفردها أرفع شأنا من سواها بصحبة الكلام والغناء .. ويستخدمون الموسيقى في تصوير الأحداث أو إثرائها بمجرد نغماتها وإيقاعاتها .. وكثيرا ما نحب أن نرى الصور والمرئيات بالتليفزيون دون حاجتنا إلى الحوار الكلامى المسموع بل نعتبر ذلك أكثر شاعرية وإشباعا وعبقرية كما أن الخيال يفعل الأعاجيب من الإيهامات والإضافات والإبداعات .. وقد كانت هناك في الماضى قبل التقدم الحديث - ما يسمى بالسينما الصامتة - وكلما كان الحديث - الذى لا غنى عنه طبعاً - رمزيا - ما قل ودل - كلما كان مؤثرا وبليغا - وكما أسلفنا فإن كثيرا من الإضافات الغثة المثرثرة هى حجة على قائلها ودليل جهل وسوقية .

إن المعلم (المدرس) بالنسبة للفنون خاصة ولسائر المواد عامة يجب أن يكون موضع ثقة إنساناً على خلق راق مهذب ومتدين ، وإلا فكيف سيقدم نفسه كقدوة ومثل أعلى لأولاده المتعلمين ؟ ، كذلك لابد أن يكون ماهراً فنياً ومهنياً وعلى أفضل مستوى وتخصص .. حاذق وأستاذ .. ونحن نعلم أن فاقد الشيء لا يعطيه .

إننا يجب أن نخرج - للمجتمع - المواطن الصالح كى يكون أساساً للمواطن المبدع - يكون فناناً خلاقاً على أساس نظيف سوى كلما أمكن ذلك ليكون مخترعاً مبدعاً في تخصصه .. موسيقيا ، فنانا تشكيليا ، أديبا ، محاميا ، طبيبا ، تاجراً ، وغيرهم .. شريفًا نموذجا للصلاح كريماً أمينا نزيهاً هذا رغم أنف الكمبيوتر والإنترنت ..

أولاً التربية .. المثل العليا .. دماثة الخلق .. الصدق والأمانة .. كل هذا موجود منه ولكن قليل جداً ، نريد أن تكون الأغلبية راقية المستوى ليتحقق الإبداع الفنى والحضارى السليم .. فنحن كثيرا ما نرى المهن ذات المسميات المبهرة أصحابها مستوياتهم مؤسفة ليتهم ما تعلموا إلا المثل العليا التى سبق توضيحها .

إن مسئولية توصيل المعلومات النظرية من كتاب هى تحصيل حاصل ونقل واقع قد سبق حدوثه بالفعل ولا جديد « فقط » الجهد المطلوب من المعلم أن يستطيع أن يكون هاضما للمنهج ويوصله لقمة لقمة لتلميذ الحاضر أقول ذلك لأن المعلمين الذين يعملون في التحفيظ طالما تهكم بعضهم وسخر من المواد الفنية بحجة أنها سهلة ولا مهابة لها والنجاح فيها سهل ولا خوف منها .. وطبعا هذا التفسير عدو للتربية وللواقع لأن كلاً منهم ـ صغيراً وكبيراً ـ فنان في بيته وفي تعاملاته ومقتنياته وإحساساته وهو إنسان إذا احترم الفن وظل تلميذاً له مدى الحياة وهو دون المستوى إذا أنكره وتنصل منه ـ ونحن دون أن نشعر نرتاد سفينة الفن دائماً .

المناهج المدرسية ـ والتربية الفنية

كلّ منا يحب أن يكون ذاته ، كلّ منا مفطور على حب الظهور ـ كما جاء فى مقدمة الكتاب فكل من يقف على رأس مهنة يؤكد تفوقها وأنها أفضل مهنة وأنها أفضل من سائر المهن أما فى المدرسة فإن جميع المواد لازمة ومتكاملة فى خدمة الطالب .. المواد العملية لها دورها ولا أحد يُقلل من قيمتها ، كذلك المواد التربوية لا أحد يقلل من قيمتها ودورها العظيم ، ولا خصومة .

ومعلم التربية الفنية بصفة خاصة ينبغى أن يكون على دراية بنفسية التلميذ ومرحلة العمر التى هو فيها وظروفه الأسرية خاصة والاجتماعية عامة ، والمراهقة وظروفه الصحية ، وينبغى أن يكون المعلم محبوباً لدى الطالب وينبغى أن تكون المادة مرغوبًا فيها لدى الطالب ومناسبة لعمره وحالته بل وتكون مشبعة ولازمة له وتَسرُّ خاطره ـ والفرق الجوهرى بين التربية الفنية وسائر المواد ـ أن التربية الفنية مادة للإمتاع واللعب الفنى تستقطب المكبوتات ووجهات نظر الطالب وميوله الابتكارية والإبداعية وكما يشاء يعزف موسيقاه

دون أن تتطابق مع إنتاجات وإبداعات زميله فهى مادة الفروق الفردية فهى التى لا غش فيها ولا مذاكرة وإنما الممارسة والتدريب والرؤية الفنية ، فمن السهل أن يُكشف من ينقل أو يغش أو يفتعل فالنفس تهضم ما تستوعب والخواطر تفرز وتبدى رأيها وتقول ما تشاء ولابد أن تشجع الطالب أن يقول بالفن ما يشاء بكل الشجاعة والرأي الحر وإلا فكيف سيكون إبداعاً أو اختراعاً؟

ولا يجبر الطالب أن يرسم أو يصنع الفن فالذى يدفعه أن يُقبل على الممارسة الفنية هو توافر الخامات كما قلنا ـ بإسراف ـ ثم الإثارة بالوسائل التعليمية والجو الفنى المحترم.

وهنا وجهات نظر تقول: إن غرفة أو صالة التربية الفنية لا يجب أن يزيد روادها فى المرة الواحدة عن عشرة طلاب حتى تتوافر أجواء الاحترام والثقة والاعتزاز بالمادة وبالعمل الفنى عامة وبالمؤسسة التعليمية .

وبالمناسبة أذكر أنه منذ ثلاثين سنة إلى خمسين سنة كان هذا الأمر مطبقا بالمدارس الثانوية . فيقسم الفصل وعدده أربعون طالباً إلى أربعة أقسام كل قسم عشرة طلاب أحدها للتربية الفنية (الرسم) والثانى لأشغال النجارة والثالث للتربية الزراعية والرابع للتصوير الفوتوغرافى .

ولكن عدم توافر الحد الأدنى للخامات كان يؤثر تأثيراً سلبياً ويقضى العشرة طلاب الوقت بشكل مفتعل .. مؤسف حتى ما يسمى الآن بالمجالات العملية.. وإن عدم توفر الخامات (بإسراف) كما قلنا عدة مرات لا يحقق الهدف الفنى أو التربوى للمادة .. لأن هذه المادة بالذات مادة لعب بالخامات الفنية .. ليست مجرد كرة قدم واحدة تكفى للعب الفريق طول السنة !! .

وبعد فكلما كان المستوى الاقتصادي أفضل كلما كانت الخامات الفنية أوفر وكلما كانت الإبداعات أظهر وأرقى وكلما كان المجتمع متحضراً أكثر .

نموذج ليوم دراسى فى مدرسة ابتدائية بالسويد

وأتمنى أن يكون فى المستقبل القريب ـ هو شكل التعليم فى بلادنا الحبيبة .

الفصل الدراسى مساحته مائة متر ٨× ١٢,٥ مترًا (الصف الدراسى الذى

شاهدناه الثالث الإبتدائى) عدد التلاميذ ١٦ تلميذًا وتلميذة .

ثمانية مقاعد مزدوجة بالأدراج بكل منها تلميذ وتلميذة . فى صفين كل صف من المقاعد أربعة .. أمامهم وعلى الجانبين وفى الخلف أجهزة مختلفة وشاشة سينما وفانوس سحرى وحاجز للأراجوز وأجهزة اتصالات وسبورة ومناضد عليها الألعاب والرسوم والصور والألوان وستائر مشمولة بالرسوم والمؤثرات الصوتية - وبيانو - والمُدرِّسة لها مكان خلف التلاميذ !! .

وهذه المُدَرِّسة خبيرة فى الكمبيوتر وتشغيل السينما والألكترونيات وعلم النفس ولديها خبرة أيضا بكل تلميذ وأسرته ومنزله وغرفته بالمنزل وحالته النفسية والصحية والأطعمة التى يتناولها فى المنزل وأصدقائه ومستواه الدراسى ومستوى ذكائه منذ ولادته وقدراته الخاصة وحالته عامة .. وهواياته .

والمُدرِّسة أيضاً متخصصة فى سائر المواد الدراسية والموسيقى والغناء .. والدرس / منطقة غابات الأمازون بأمريكا الجنوبية .

* المدرسة (المعلمة) كتبت عنوان الدرس مع التاريخ على السبورة - ثم انخفضت الأضواء ورجعت المعلمة إلى الخلف ويبدأ الفيلم السينمائى الشيق بالطائرة تطير فوق الكرة الأرضية وتبدو القارات والمحيطات ثم أمريكا الشمالية ثم بلاد أمريكا الجنوبية والبرازيل ثم غابات الأمازون وتهبط الطائرة وينزل أعضاء البعثة وتبدأ قوافل الحيوانات بأشكالها وأسمائها وأصواتها وقطع الأخشاب وتحميل المحاصيل الزراعية والمصانع المصاحبة ومنازل المزارعين والعمال وجامعى محاصيل المطاط وشحن القطارات داخل الغابة والتصدير بالسفن على ساحل المحيط الهادى وتصدير البن وجوز الهند والعاج .

كذلك بيان الطيور التى تعيش فى الغابة كذلك الاستماع إلى أصوات الحيوانات المختلفة والطيور وإحدى الأغنيات تنبعث وتغنى المدرسة وتعزف على البيانو ويردد التلاميذ الأغنية ويلعبون بأيديهم وأصابعهم على لوحات زجاجية عليها عجائن ملونة كانت قد وضعتها مُعلمتهم على الدرج أمام كل تلميذ وتلميذة دون أن يشعروا .. والتلاميذ يعزفون على الألوان وتمتزج الألوان فتبدو كأنها أشجار وأغصان الغابة ثم ينتهى الفيلم ويضع كل تلميذ

وتلميذة إنتاجه على المنضدة الكبيرة ثم يعود إلى مقعده فإذا أمامه كرتون ملون ومقص وإذا بكل منهم يقص ويكون حيوان أو رأس فيل أو سواه من التى قد سبق وشاهدها أثناء الفيلم ويتناوب بعضهم خلف ستار الأراجوز ويرفع يديه باللعبة التى صنعها ويقلد بصوته صوت الحيوان أو الطائر وينتشر فى الفصل أصوات حيوانات وطيور الغابة من أفواه التلاميذ والتلميذات وقد عاش التلاميذ الدرس المشوق واستفادوا وهُم قد جاءوا مسبقاً سعداء يتعجلون طلوع الصباح حتى يسعدوا بالفيلم السينمائى واللعب والغناء .

أما التلميذ (أو التلميذة) الذى يسرح ويبدو متجهما مبتئساً فتسرع المدرّسة إلى التليفون وتتصل بوالده فى عمله أو والدته ثم تزوره فى بيته فى المساء؟ لتطمئن عليه ، ماذا قد تناول من طعام ؟ ومن الذى قد أساء إليه وأىّ طارئ صحىّ قد ألمّ به ؟ ..

وندرك هنا ومع هذا الاختصار كيفية الاهتمام بحالة الصغير النفسية وليس الحشو العلمى الشكلى

الفلوماستر

وقد ظهر (الفلوماستر) كألوان منذ أكثر من ثلاثين سنة فى بلادنا واقتحم المدارس كأمر سهل وكتحايل لإنهاء العمل بأسرع ما يمكن فى دروس التربية الفنية كإجراء شكلى عندما زاد عدد تلاميذ الفصول من جهة وتدهور مستوى الاهتمام من المعلم بالمادة وانعدمت الخامات المدرسية من جهة ثالثة .. وبالتالى فقد انعدم أو تضاءل إلى درجة كبيرة إحساس التلميذ باللون وموسيقى اللون ودرجاته والأبعاد المبهرة لأعماق الألوان وطوفان الجمال فيها ونافورات الإبداعات التى يمكن أن تُظهر المواهب وأن تستقطب احترام التلميذ للمادة .. فالألوان التى تجب وينبغى تناولها فى مجالات المادة مادة التربية الفنية ـ هى أنابيب الألوان المائية والأصباغ والجواش وألوان أنابيب الزيت والعجائن اللونية .. أما الفلوماستر فهو لا يزيد عن كونه يصلح للاسكتشات كأنه أقلام رصاص أو مجرد قلم للتخطيط بل إن ألوان الشمع أفضل منه كقيمة فنية وإنها تستخدم ليتم بموجبها الكشط وظهور نتائج لطيفة مُرضية كذلك لتدخل حبيبات لون

منها مع حبيبات لون آخر بشرط أن يكون الشمع من النوع الممتاز. ومن المؤسف أن الفلوماستر أصبح كأنه حتمى وأن الجواش وغيره من الألوان الشرعية كأنها غريبة ومطرودة من الساحة ؟!! .

والخلاصة: أن الفلوماستر ممكن أن يبدأ به الطفل قبل المدرسة ليتدرب فى البدايات فقط .

الفن والإنتاج

سؤال : ما هى أفضل فكرة ابتكارية إنتاجية تستطيع إبداعها .. اختراعها تقدمها دليلا على وصولك الفنى لمستوى المهارة التخصصية المهنية من ناتج ممارستك لألعاب الفن الذى تحبه ؟ فنحن نريد أن نعبِّئ المدارس بإمكانات وخبرات إنتاجية اقتصادية ترأسها الفنون .. مجالات التربية الفنية كما جاء في آخر قرارات وتوجيهات عليا مما قد جعل الفنون الآن في المؤسسات التعليمية تتمتع بمكان الصدارة كما كان حقها وموقعها الاعتبارى دائما .

نحن نتمتع بممارسة اللعب بالأدوات وبالخامات التى هى موجودة في الأصل ـ خلقها الله لنا ـ ونحن نعلم أن المادة لا تفنى ولا تستحدث ـ وبكافة الأفكار والمعلومات والمشروعات نمارس التجميع والتركيب والتوليف ـ وتجاوزا نقول ..إننا نخلق منها ونخترع « فقط تعلمنا بعقولنا ومشاعرنا وخيالاتنا وثقافاتنا .. بالمحاولة والخطأ والاستدلال .. الاستقراء .. الاستنباط .. القياس .. الاستنتاج .. النقد .. الإحساس بالفوارق والتوافق والتضاد والتفاعل .. التصميم والملمس والكتلة واللون وكأننا نحاول محاكاة الله كأننا نريد أن نقول للشيء كن فيكون » .

الفن والتشويق

يجب أن يكون المتعلم المبدع سعيداً بتنفيذه للمشروع الفنى الذى يثار أو يوجه إليه .. لقد تعلمنا أكثر المناهج المدرسية بدون تشويق أو إقبال سعيد .. وكثيرا ما ينزعج التلميذ أو الطفل أو الدارج من طلوع الصبح خشية إرغامه اليومى على الذهاب للمدرسة من صعوبة المناهج أو انعدام التشويق أو تدنى مستوى خبرة المعلم .

والأمر السيئ هو قسر التلميذ وإلزامه بالإرهاب ـ تحت السياط والخوف من الرسوب ـ إلزامه بأن يستظهر ـ بمعنى الحفظ صم ـ وهو جاهل للأمر أو كاره يتجرع المرارة في الوقت الذى من حقه أن يتمتع ويفرح ويبتهج باكتشاف المعلومات وهو يلاحظ قدراته الإبداعية والفكرة تزدهر وتأتى بالجديد .. فإذا به يحاكى المنهج بآلية وافتعال كأنه تائه ضائع متخبط لا يؤمن بما قد عاناه من « تعلُّم » مفروض عليه ينساه بعد الامتحان كأنه عدوّ قد تخلص منه .. فهل ننتظر إبداعا أو ابتكارا في هذه الحالة ؟ .. ومعلم في حيرة .. كيف سيقوم بعمل التشويق في مقدمة الدرس لدعوة خيالات تلاميذه وابتكاراتهم في فصل به سبعون تلميذا يعانون من أثقال المناهج الأخرى ؟ .

لقد اقتحمت مجال التعليم ككلمة حق ومسئولية .. فتلميذ اليوم هو فنان الغد وبانى نهضة بلادنا وحضارتها .. وتجهيزه الجيد من حقه كإنسان .. وأدعو لرفع الظلم عنه ما استطعنا .

لمسة فنية

الإلهام.. التصميم .. التكوين .. الخامات .. الجهاز .. الإدارة أو النموذج يستخدمها الفنان الخبير فيزيدها قيمة بلمسة أو إضافة أو زيادة في خط في ركن أو تعديل في لون لاستحداث حركة فنية أو روعة أو قيمة أعلى .

مثلما يكون الأمر في إيماءة خفيفة أو بسمة أو تأخر خطوة لطيفة أو التقدم أو مصافحة كريمة أو لفتة يمكن أن تصنع الكثير أو مبادرة أو كلمة رقيقة يمكن أن تهدئ الخواطر ، ومن الممكن أن نقول عنها أساليب فنية جمالية .

مثلما سبق أن قلنا :إن كلمة واحدة في موقع ما يمكن أن تصنع الصداقة والمحبة وتشعل الحروب في الميادين .. وإن لوحةً في غرفة أو قطعة أثاث زيادة أو ناقصة أو ستارة أو تحفة تحت إشراف إنسان فنان يمكن أن تسرع بالقيمة إلى حد الروعة والإبهار .

ولنتأمل أنفسنا على المسرح الاجتماعى ، حقائبنا .. ملابسنا .. أحذيتنا .. رباط العنق .. المنديل ، أمور بسيطة تزيد من القيمة والتفاخر أو تقلل .. وهل السلع التى نستخدمها والأدوات ـ إلا تصميمات جمالية ولمسات سحرية ؟

ولنتأمل إذا أمر سائر الأدوات والسيارات والحدائق والأثاث والعمارات فإذا بالتكاليف في الثمن شيء وأكثر من النصفي الإضافات الفنية الزخرفية التى نسميها أحيانا بالكمالية ولكنها هى التى تبيع السلعة وتؤثر على قيمتها وسمعتها.

اللعب والعبث

عندما يتناول الطفل لعبة متقنة الصنع لتجربتها وتشغيلها للتمتع والتسلية والانشغال بها ، لا يلبث أن يسأم ويتفاوت أمر وقت الوصول لمرحلة السأم والملل من طفل لآخر فينزع إلى إصدار تبرمه بها بتفكيكها ثم تدميرها ، فإما أنه قد أراد الانصراف عنها للعبة أخرى ، وإما أن يكون الأمر هو رد فعل شخصى كالرغبة في الانتقام من شيء أو حب التدمير أو العدوانية .

وعندما نتناول أمر فنوننا عامة في الخمسين سنة الأخيرة فإننا نذكر المسرحيات الاجتماعية الهادفة والتى تساعد في أمر تطبيب المشاكل الاجتماعية - مثل مسرحيات يوسف وهبى ونجيب الريحانى ومثلها - وكان إيقاع الحياة رصينا هادئا فكانت الصورة واضحة التفاصيل يتمعّن الفكر بهضمها جيدا ويفيد من كل أبعادها ونتائجها ومعالجاتها .

وكلما مر الزمن أسرعت الصور فعز إتقان هضم المعروض من الأعمال الفنية فضلا عن التسرع في أمر إعدادها وتجهيزها فلا تتم الإفادة منها كما ينبغى

ومن زحام الناس وزحام العلم والحضارة الحديثة والقلق ثقلت المسئولية واشرأبت الأنظار والأعناق تبغى الجديد كل ساعة تبحث عن الدواء فإن لم تجد الجديد الشافى صنعته بالوهم وتصورت أنه العلاج الناجع ولم تلبث أن تلفظه إلى سواه - وفي خضم هذه التعقيدات سئم الناس المسئولية واتكلوا على التكنولوجيا واكتفوا أن يكون الفن المسرحى وسائر الفنون رموزا وإشارات يبحثون من خلالها عن السهولة في الأداء والتهريج والترددات العصبية العفوية نتيجة للتميع النفسى في اللا شعور - والأجيال الجديدة لم تعايش إلا الرموز الفنية والتخبطات العاجلة فتعودت عليها وصدقتها وربما عبدتها وهى لا تعدو أن تكون العبث .

الحاجة أم الفن

مفاهيم المأزق .. المحنة .. الابتلاء .. هى المحك والاختبار .. كيف سيتصرف الفكر لحل المشاكل؟ هل ينتصر بصاحبه ويعبر به إلى بر الأمان ؟ هذه قضية فنية كمنطلق للثقة والقوة والثروة .. أبطالها فنانون مفكرون .. مبدعون .

إن الشهادة الدراسية التى ترخص لنا العمل في التعليم ونبدأ بها ـ لا تعد شيئا إلى جانب الخبرة العريضة التى نكتسبها مع الأيام في حيوية العمل والقضايا الضمنية والمعاركات والممارسات التى هى فوق مستوى الشبهات ..أو إن الشهادة هى جناح والآخر هى هذه الخبرات .

إن عبء العمل المعنوى والنفسى والعضلى لهو شيء محتمل بل وجميل مهما كثر أو شق ـ وإنما المأساة هى التعاملات السيئة من البعض خلال منظومة العمل اليومى من تطفيف وعدوانات وسوء فهم تقترب من الحيوانية والتوحش.

إن رقة المشاعر وحسن الأدب والتحسس الفنى المرهف للألفاظ والسلوك واللمحات هى أمور حتمية لإنسانية الإنسان الذى ـ من المفروض ـ أنه يسير في مدارج السمو يطلب الكمال ، وإن الهابط مهما توهم أنه يتمتع بالطنطنة وإبهار من حوله هم يعرفونه من داخلهم ولن يستمر على خير لأنه لا يصح إلا الصحيح .

التصميم الفنى

هو أفضل شكل ابتكارى .. أجمل شكل إبداعى .. أرقى صورة يمكن أن أنتجها لتدلَّ عليَّ أنا فهى من باب أولى صورتى .. كلنا نحب أن نظهر في أبهى صورة .. كلنا نحب أن يشار إلينا بالمديح والاستحسان .. وأن هذا هو المعلم المثالى أو الطالب المثالى أو الأم المثالية أو الأب المثالى ومثالى يعنى: أفضل شيء نهتدى به .. شمس الشموس .. دليل التفوق .. أحسن عمل يمكن الاقتداء به .

ألف باء التصميم الفنى هو التفكير في الأمر قبل الإقدام على تنفيذه .. التفكير بما فيه الكفاية وبعد النظر وحساب التوقعات ثم الإقدام على التنفيذ .. حتى ولو كان الأمر مجرد كلمة فهى شكل فنى يلزم فكر وتصميم وتنفيذ .. فعل له رد فعل .. كذلك حساب الخطوط .. السلوك .. البناء المعمارى ..

والإنشائى وإبداء الرأى والتعامل مع قضية وتوضيح رؤية وتنفيذ عمل فنى بصفة عامة فثمن الإخفاق ندم وخسارة معنوية أو مادية كان يمكن تلافى ذلك بالتفكير المسبق لساعة أو لدقائق .. أو ثوان .

أهداف إنسانية

إن العناية بمعنويات المتعلم .. الطالب ونفسيته هى هدف تربوى ورسالة منوط بها المعلم ، والهدف الفنى ليس غاية في ذاته لمجرد إخراج نتائج صماء من إنتاج إنسانى آلى !!.

وعند التوجيه لدرس فنون فهناك للتخطيط للدرس والتحضير ما يسمى الهدف العام ، يعنى : « الفنى .. المهنى .. العملى .. الحرفى .. الظاهرى .. الإنتاجى » ، أما الهدف الخاص يعنى الخاص بنفسية الطالب يعنى التربوى .. النفسى السلوكى .. الأدبى .

فمثلا عند تنفيذ درس لإنتاج نموذج خشبى فهو تخطيط وتصميم يقوم الطالب باحتراف مهنة النجارة .. يشق الخشب .. يستخدم المبرد والفارة .. يضبط التعاشيق .. يقوم بتشطيب العمل .. باستخدام مهاراته العضلية ، قد تم المشروع حسب التخطيط المسبق والتصميم وأنتج المطلوب فهذا هو الهدف العام والمتعلم وهذا شأنه ليس آلة وليس هدفنا أن نجعله كذلك ، وإنما ما قد تم من إنتاج فنى في الهدف العام . أردنا أن نحقق به ضمنيا الهدف الخاص وهو التربوى وهو هدفنا الأهم من باب أولى .. فقد انتهى الطالب من مشروعه فاكتسب الثقة بنفسه أنه يستطيع أن ينفذ المهمات الصعبة والأعمال العملاقة مع التشجيع والتدريب .. فيشعر بأهميته وقيمته وأنه فعال في الصفوف الأولى .

إن أفضل من يقدم المثل والقدوة ـ للدارج ـ هما الأب والأم بحسن الأدب والتربية والإيثار ، كذلك من الأجدر أن يتحلى المعلم ـ في المؤسسات التعليمية ـ بسجايا الأبوين فيكون مثاليا ما استطاع .

والعمل الفنى هو بناء معمارى له أساس وهيكل ثم يكون الحشو والتفاصيل والتجميل والتشطيب ، وإن باكتساب المتعلم لهذه المهارات والقدرات مرة فمرة فستكون لديه الثقة الشخصية لبناء النماذج الأكبر وإعمار الحياة بكل دقائقها

من المسئولية والقوة ـ ولـذلك يجـب أن يتعـود المـتعلم علـى ممارسـة التخطـيط والتنفيذ لتصميمات قوية بعيدة عن الضآلة والضعف والتفكك .

عزيزى المعلم لمواد الفنون التشكيلية : إن بين يديك رسـالة مقدسـة ونهضـة وطـن عظـيم فمـن تحـت يـديك يكتسـب الطـلاب المهـارات الفنيـة والعمليـة والابتكارية ويلتحقون بكليات الهندسة والمصانع وقلاع الإنتاج وأبراج البناء .

عزيزى وزميلى المعلم عامة : هذا التلميذ بين يديك كأنه بين يدى أبويـه هـو أمانة ومسئولية دقيقة .. ليكن جهدك ونشاطك على أعلى مستوى ، تمـر الأيـام والأعـوام وكـلٌ منكمـا يمضـى في طريقـه .. ولكنـه يعـرف أىُّ معلـم كنـت ، وسيسترجع فى ذاكرته التاريخ وأى إنسان كنت وما هو كشف حسابك خيرا أو شرا وسيظل يحاسبك بينه وبين نفسه في حياتك وبعد مماتك يدعو لك أو عليـك وكأنه يرى مرة أخرى ومرات ـ كل التفاصيل واللمحات والتلميحات .. هـل كنـت قد أثرت في بنائه النفسى والعقلى والتربوى أم أهدرت من ذلك الكثير أو القليل ؟

أهمية النشاط الفنى في المدرسة

إنه مهما يكن من أمر فإن النشاط الفنى في المدرسة ـ منذ القدم وإلى ما شـاء الله ـ قد ساهم في إعداد الشخصية الناضجة والبنيان النفسى للطالب والمهارات وأشبع ميوله الفطرية نحو الفنون وأبرز مواهبـه بحيـث أن العديـد مـن المشـاهير والنجوم في سائر مجالات الفنون قد انطلق لمعانهم منذ كانوا طلابـا في المـدارس الابتدائية أو الثانوية في الوقت الذى كانوا يزاولون فيه الأنشطة الأدبية والمسرحية والتربية الفنية والموسيقية .. ولذلك فإن الاهتمام المستمر بالأنشطة الفنية بالمـدارس هـى أمور جوهرية لازمة لأبناء الجيل بل ورئيسة للعملية التربوية .

وإن تقدير مشاعر التلميذ أمام زملائه ، ووقايته من التجريح الذى يمكـن أن يلحقه من معلمه أو من زملائه ـ أمـر ضـرورى ، فـإن اسـتحق العقـاب فعـلا فبالسلطة التربوية وباعتبار التلميذ قاصر أو مريض أو جاهل أو تحت العلاج أو رهـن الإصـلاح النفسـى ، ويعامـل الجميـع بمسـاواة بـالثواب أو العقـاب أو التعاطف أو التعزير .

إن التلميذ ممكن أن يخطىء ويجنح وأنا كمربٍّ أصبر لأعالج له الخطأ بصلاحياتى الأبوية والتربوية ، والتلميذ هو مرهون بالتوجيه والاقتداء .. هذا قدر المعلم - وإن التلميذ تلقائيا هو ابن المعلم ومن أسرته .

إحساسات فنية ضرورية

أنا مخلوق من هيكل عظمى يكسوه لحم مغلف بالجلد .. فهل أسير في طريقى هكذا أم أن لى جلدا آخر هو بذلتى أو ثوبى - حتى أننى أتعامل مع الناس ويعاملوننى بحسب هذا الغلاف كأنه جزء لا يتجزأ من شخصيتى ؟!!.

أنا أحب أن أتناول قهوتى في كوب زجاجى شفاف وأرفضها ولا أستسيغها في فنجان صينى .. كأن القهوة بغلافها الزجاجى وحدة واحدة ومذاق واحد !! وأنا أحب تناول الطعام في ذلك الطبق دون غيره وبهذه الرائحة وبهذا الأسلوب في الطهى دون سواه مع أن الصنف الخام هو ذاته لم يتغير .

وأنا أيضا أحب قراءة الصحيفة بهذه الكيفية من جلوس أو اضطجاع أو وقوف أو أبدأ عادة من آخر الصحيفة ثم أنتهى إلى أولها .. ولا أقبل القراءة دون طريقتى المعتادة ، أنا أستوعب المذاكرة وأفهم ما أقرأ فقط وأنا أستمع إلى الموسيقى .. وذلك يستوعب الأفكار أثناء سماعه للصخب ، وذاك لا بديل له عن الهدوء .

وآخر لا يخلد للنعاس إلا بعد أن يشرب شرابا أو يسمع حكاية ، ومسكنى يكون جاهزا للسكن .. ولكنى أعتبر أن هناك أشياء أخرى تنقصه رغم تمام (تشطيباته) فأقوم بإنفاق أموال أخرى في تنسقات وتعديلات هى مذهبى حتى أسكن .. فمثل تلك الإضافات تصير أصيلة كجسم الشىء ، والغلاف الذى نشير إليه هنا هو عمل فنى ضرورى يصير وحدة واحدة مع الشىء الأصلى بدورة دموية واحدة كريش الدجاجة وجسم الدجاجة من تحته .. كالطلاء والجدار !!.

والغلاف .. الإطار وهذا شأنه هو الإشارة عند تمامه لبدء التحرك على المسرح .. هو الحبكة الجميلة التى تضبط أصل الشكل والمضمون - وإذا انفصلت عنه يكون مسخا وتشويها ولا عبرة به ، فهو ضرورة لدعم وإقرار الأمر وإظهاره بصلاحياته الوظيفية .

إن الذى يقر لنفسه التمتع بالفائدة الجمالية لابد أن يكون متحمسا لحق من حوله في ذات الأمور قبله ومعه لأن التهالك الأنانى أمر سفلى رخيص لا يوازى نبل الجمال وعطر السمو ، والحرية في موقع هى قسمة العدل تشمل كل المشتركين في الموقع .

التكتيكات والذكاء والمشاعر والإحساسات وبعد النظر أمور للحب والبناء الاجتماعى وتكريس للخير والمروءة في المجتمع وليس للانتهازية والمؤامرات والعدوانات.

نحن نتفاهم بالحوا س ، بالكلام من الفم .. والنظر من العينين ، والسمع من الأذنين ، وحاسة اللمس من الكفين ، والفهم والتأثر من الوجدان والفكر والمشاعر والعاطفة والنزوع والسلوك .

وكل هذه الوسائل والعوامل ليست متساوية المستوى والجودة بين كل الناس فهناك فروق فردية .. درجات من الإحساسات الراقية والنبل من جهة إلى التبلد والهبوط من الناحية الأخرى .. والفنون كلها هى عوامل فكر وعاطفة وثقافة وعلم وتفاهم وإبداع تؤدى إلى تنشيط وتثقيف وترقية كل المشاعر والحواس الإنسانية على طريق التحضر الوجدانى والتذوق السلوكى .

الجهود الوطنية مع الفنون

الأعمال التطوعية .. خدمة البيئة .

هذا وطننا .. بلادنا .. حبة قلوبنا .. بيتنا الكبير .. والمواطنون أهلنا .. وطننا فخرنا .. ملاذنا .. النظافة والنظام والتراحم بيننا شعارنا .. والنزاهة طبعنا .. في الأسرة بيتنا الصغير لا يمكننا أن نعيش دون جمال الشكل الفنى ـ كما هو بديهى النظافة ..الجمال .. الترتيب .. التنسيق .. المسئولية لأنه بيتنا الخاص الذى نعيش فيه أكثر من نصف عمرنا ـ آدميون فنانون نحن ولسنا ببهائم .. نحمى بيتنا حتى من الميكروبات والملوثات حتى من الروائح الكريهة حتى الصورة المائلة نسارع بوزنها والناقص نكمله ، والضوضاء لا تناسبنا .. والوقت لا نهدره .. والعلاقات الإنسانية لوحة شرف وتقاليد النبلاء .. والتواصل الكريم مع الجيران فهم من عائلتنا وإن كانوا يقطنون خلف جدار آخر ..

أولادهم منا ونحن منهم .. نهرع لهم نشاركهم أفراحهم ونساهم في شرف إزالة ومداواة آلامهم، وبالتالى الشارع شارعنا لا نسيء لأنفسنا بتلويثه .. كلما أمكن نساهم بلا أجر في نظافته .. رفع الظلم عن إنسان يظلم أو حيوان ـ التوجيه لإيقاف ضوضاء من أطفال أو سيارة أو مكبرات صوت .. الآخرون سيتجاوزون ويخطئون ولكننا سوف نسبق إلى القيادة والشجاعة في أعمال الخير والتعاون دون أجر مادى وإنما كسب كرامة نفسية وشخصية وإنسانية أغلى من كل جهد ومال .

حوافز الإبداع

كل منا ـ كما هو معروف ـ ينافس ويسابق يتمنى أن يكون في الصفوف الأولى ، إن لم يكن الصف الأول .. لأحسن صورة ومنصب وشخصية ومكان .

وكل دولة تفخر بفنونها وعلومها .. بشبابها .. بجامعاتها ومعاهدها واختراعاتها وإبداعاتها .. حتى الدولة تسابق وتنافس لتصل إلى أعلى منصب ومكان وصورة بين مصاف الدول .

ومن المعروف أن الذى يتفوق يستحق جائزة فهو ذو قيمة وكرامة ممن لم يتعلم ومن حق المبدع أن يظهر اسمه في لوحة الشرف وتتسلط عليه الأضواء وتشير ولولا الفكر والخيال والعلوم والفنون ما كانت هناك نهضة في الدنيا ولا حضارات .. وإن كل الناس لديهم العقول .. كما أن المعلم محتاج لطلابه في كل مكان .. هلموا أيها الناس فإن أبواب العلم والبحث وإبداع والفنون مفتوحة للكبار والصغار للباحثين والمخترعين والمجددين والمنتجين .. تعلموا فالحضارة منافسة والمجد للسابق .

وإن القارئ والباحث والمبدع ليس من السهل أن ينتج ويصل إلى النتائج المبهرة من أول محاولة فهو يتعثر أحيانا أو يخطئ في تجربة أو يفضل مرة أو أكثر ثم هو ينهض دون يأس ـ يحاول ويجاهد ويعيد النظر والبحث ويستفيد من أخطائه ويصحح أفكاره ، وينهض ويقف على أرض صلبة ، وليس هناك عملا عظيما إلا بالفكر والتجريب والمعاناة والمحاولة والخطأ ثم النتيجة المبهرة .. نعرف ذلك من السابقين المتميزين الناجحين . فبعد وصولهم للفوز بالجوائز

وهو في قمة التفوق يسترجعون ذكريات الطريق من أوله وما كانوا قد كابدوه من مشقات في البحث والتجريب والإصرار ، لم يستسلموا أو يتخاذلوا بل بالبحث ومتابعة الأمر والتجارب والاستفادة من أخطاء من سبقوهم إلى النجاح .. للنجاح مثلهم وأكثر .

وإن الوصول إلى درجة التفوق الفكرى والإبداعى هى عوامل تصنع كرامة الإنسان وفرحته وبطبيعة الحال تزيده ثروة - ويهون كل جهد في سبيل الامتياز والتفوق وكل سلعة لها ثمنها !! ، وثمن النجاح هو بذل جهد خاص وبالإصرار على الوصول إلى هدف المنافسة النهائية بالشكل المشرف .

وأمامنا مباريات كرة القدم التى نشاهدها ونسمع عنها كل يوم - وهى خطوات تعتمد على الفكر والفن وبعد النظر - كل يوم يلزم التدريب والخبرة كل يوم لقاء الفريقين المتنافسين .. كل يجاهد حتى النتيجة ، والفائز يحصل على جائزتين : التشجيع المعنوى الذى يؤكد ذاته ، والتشجيع المادى أيضا والأوسمة والكئوس .. والفاشل سوف يعيد النظر في حساباته ليستفيد من تقصيره ولطالما كان الإخفاق والخسارة في أمر - إن أفدنا منها - سببا في نجاح عظيم مستقبلا .. والمسابقات لا تنتهى والصراعات والمنافسات والحضارة حياة مستمرة مع دوران كوكبنا الجميل .. الأرض .

والأعمال العظيمة مثل الفنون من آداب وعمارة وتربية وعلوم واقتصاد وزراعة وصناعة وخدمة البيئة ورياضة ورياضيات وطب وسائر الاختراعات .. إن لم يُقدَّر مبدعوها ويكافأوا بالشهادات والجوائز والتكريمات تتعرض إبداعاتهم للذبول .

وهل ننسى حاجتنا الدائمة منذ الطفولة إلى التشجيع والمكافأة والمديح ؟.. إنَّ كلمة مديح وابتسامة إعجاب وشكر يزدهر بها الإبداع والعطاء أيما ازدهار .

نسمع ونشاهد من حولنا أن هناك جوائز عالمية مثل نوبل - الذى أوصى أن تكون هناك جوائز مالية باسمه من ثروته للنابغين والنابهين في شتى فنون الإبداع التى ترقى بالحضارة الإنسانية بشكل مبهر لا يقارن .

ومن مصر قد فاز بجائزة نوبل الرئيس الراحل أنور السادات لجهوده في مجالات السلام ، والأديب المصرى نجيب محفوظ ، والعلم المصرى أيضا دكتور أحمد زويل والذى فاز بجوائز أخرى عديدة مثل فرنكلين وغيرهما ، والمهندس المصرى كذلك مصطفى شوقى الذى فاز هو الآخر بجائزة اسمها (أنجرسول راند) الإيطالية في العمارة كما فاز الرئيس مبارك بجوائز عديدة لجهوده من أجل الإصلاح الاقتصادى والسياسى في الشرق الأوسط والعالم وكذلك الدكتوراه الفخرية من سائر الدول . ثم هناك جوائز ترصد للمبدعين والمتفوقين في سائر مجالات الفنون والعلوم قد قررتها قيادات مصر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة .. فالتشجيع حق لازم لكل مبدع بالشكر والجوائز .

وفرق بين الإنسان المشهور باختراعاته ونجاحاته وعلومه وإبداعاته وفنونه وآخر لا قيمة له ولا ينجح في شيء وثالث مشهور فقط بكسله وشروره .

أليس النبوغ والسبق أولى بالتكريم والتقدير والشهرة والتشجيع لأنه الابن المخلص الأمين نبع الثروة وفخر الوطن؟ .

وإنه من السهل أن نرى كل يوم في بيوتنا بعض الشهادات في إطارات معروضة على الحوائط يفتخر بها الأجداد والآباء والأبناء بنجاحاتهم .. إنها مجرد ورقة مكتوب عليها الاسم والإقرار بالتفوق من المؤسسة أو الدولة بان هذا المستند هو إقرار وتقرير للمبدع المخترع والمجاهد الذى بذل جهدا غير عادى أو متميز يستحق الشكر ويظل الإقرار ينادى ويصيح والجميع يقرأون بافتخار عبر السنين مع توالى الأجيال، ولا عجب فهناك من يجتهد وهناك من لا يكفيه جهده أن يفى بمتطلباته الشخصية فيعتمد على آخرين من ذويه .. فما بالنا بالذى يكفى جهده وطنه كله في حياته وبعد رحيله .. شيء رائع فوق كل وصف أن يظل البناء يشمخ ويرتفع إلى المعالى يُغطّى مصلحة البشرية بالازدهار في فن من الفنون ـ يستمر دائماً ويترك الدنيا وعمله مازال يعطى ، إنه جهد فرد واحد مبدع فلا أقل من أن يذكر اسمه في إقرار من بلده ومن الناس بتحيته ومعرفة اسمه .. سُلّم ضرورى لإدراك ما ينبغى علينا من شكر وعرفان للمبدع الخالق الأعظم .

كذلك من المعتاد أن نشاهد بجوار مكاتب رؤساء المعاهد والدواوين

والمؤسسات عامة والشركات ـ الكئوس والميداليات والدروع والشارات والشهادات تؤكد تفوق هذه المؤسسة وأفرادها أو بعضهم عبر السنين ـ قديما وحديثا ـ في مجالات العلوم أو الفنون أو الرياضة .

وفي بلادنا العظيمة توجد الجوائز التقديرية والتشجيعية ووسام الجمهورية في العلوم والفنون والآداب ، وقلادة النيل والدروع والكئوس والبيارق والأعلام ونجمة الشرف ومرتبة الشرف ونوط الواجب ونوط الشجاعة ونجمة سيناء والدكتوراه الفخرية وغير ذلك .

وكما قلنا ـ ومثلما هو معروف ـ :أن من حق كل مبدع أن يكرَّم ومن حق كل مجدٍّ ومحسن وسباق للمجد والخير أن يُكافأ ونقول له كلمة الشكر ، وهى مجرد كلمة وهى الحد الأدنى كجائزة حتى ابتسامة الرضى .

وكل جائزة بمقدار الابتكار وحجم العمل وقيمته ولا يجوز أن يكون العمل منقول الفكرة أو مقتبساً . وإن هناك برامج بالتليفزيون تسمى الجائزة الكبرى تقدمها بعض الشركات للدعاية لمنتجاتها ، وكما سبقت الإشارة فإن الإجحاف بالمبدعين بعدم مكافأتهم يؤدى إلى إحباطهم فيتكاسلون عن الإبداع ـ فهذا التلميذ الصغير إذا أتحفته معلمته برسم نجمة عند متابعتها لكراسته فإن ذلك يؤدى إلى نهوضه وانطلاقاته وتشجيعه للإبداع .

إن التشجيع أمر جوهرى للصغار والكبار حتى الذين هم في أعلى المناصب ـ والتشجيع هو يصلح العيوب ويعالج مشاكل نفسية مثلما يدفع إلى استمرار التفوق الإبداعى بل وينقل الكسول من حالتة إلى انطلاق النجاحات المبهرة من إمكاناته واستيقاظ كوامن عطاءاته .

وإن التشجيع والجوائز للمجدِّين والمبدعين يزيد من تفوقهم ـ كما سبق التوضيح ـ ويدفعهم إلى مضاعفة نشاطاتهم الإبداعية بشكل كأنه السحر فعاطفة التقدير تجد صداها المبهر لدى المشاعر الإنسانية حيث تتدعم الثقة بالنفس ويسمو الفكر بانطلاقات فوق مستوى طاقة العقل وهذا هو المأمول ، فنحن نرجو أن تصل طاقات الإنسان المبدع إلى أضعاف قدراته وإلى آفاق متناهية السمو والعطاء .

ونحن نلمس أنه عندما يفاجأ العاملون في مؤسسة ما خلال يوم العمل .. بشخصية قيادية كبيرة تمر عليهم .. يبتسم لهم ويشجعهم ويشكرهم على جهودهم وإنتاجاتهم أو مبارياتهم أو أثناء تصوير التليفزيون لإبداعاتهم كممثلين مثلما نعرف عن مرور رئيس الجمهورية شخصيا كأنه عامل معهم ومشارك ومشجع يلوح لهم ويبتسم برضى وسعادة ـ فإن ذلك يزيد من إبداعاتهم وينقلهم بهذه اللمسة الجميلة الراقية الحانية من بذل الجهود العادية إلى انطلاقات كالنافورة الكاسحة والنبع العظيم .

ومن العجيب الذى يدركه الكثيرون أن الحيوانات هى الأخرى تشعر بقيمة التشجيع وتتأثر به ، فإن صاحب الدابة حين يكافئها بقطعة سكر أو بقطعة طعام من التى تفضلها ـ وحين يربت على رقبتها أو كتفها بكفة بل ويحدثها بكلمة ثناء ومديح فإنها تفرح وتفهم وتزداد معنوياتها ازدهارا وتتحمل مشقة العمل وتحقق ما يريده صاحبها وتكون عند حسن ظنه !!.

وبالمناسبة فنحن نشاهد ـ في الأفلام أو في مدينة الملاهى ـ حيوانات البحر مثل الدولفن وهو يؤدى مشهدا رائعا مبهرا أو يلعب بالكرة في الماء ، وبعد أن يؤدى كل مشهد يصفق له الجمهور وهم المشاهدون ويتحفه حارسه عند ذلك أو المسئول عن البحيرة بسمكة يأكلها كحافز جزاء نجاحه في أداء المشهد وذلك كل مرة .

ولطالما شاهدنا أيضا مثل ذلك في حدائق الحيوانات بالجيزة ، فالزرافة والفيل وفرس النهر ـ كل من تؤدى منها دورا ناجحا تحصل كذلك على مكافأتها أو حافزها وهى قطعة الطعام الذى تفضله . وهذا الأمر بالتالى مع حيوانات أخر أيضا وطيور مثل الحصان والأسد والنمر والكلب والببغاء والنعامة .

فما بالنا بالإنسان وهو أكرم الكائنات الحية وصاحب كوكب الأرض وصاحب تاج العقل والفكر والإبداع صانع الحضارات عبر التاريخ .ولولا الإبداعات لما كانت زينة الدنيا وعجائبها فهناك الجديد كل يوم من نتاج فكر الإنسان وفنونه .

وكما سبقت الإشارة فإن النقل والتقليد والمحاكاة طبق الأصل هى رتابة

واقتباس واقتناص فكر صاحبها الأصلى كسلا من الناقل لعجزه الفكرى وضعف نفسه وتدنى مستواه وتعطل إبداعاته ، فكيف يحصل على جائزة وهو غشاش ؟ .. وبعد فهناك أيضا تشجيع الأم لطفلها بمكافأته بهدية أو لعبة أو قطعة حلوى كجائزة له .. أو ابتسامة أو قبلة حنان يطمئن بها على حبها له وحمايتها وثقتها به حتى ولو كان عمره يوماً واحداً فهو بمشاعر إنسان على الطريق ، فإذا حدثته أمه وهو لم يعرف اللغة نطقا ولكنه قد أدرك نوع الحديث وفهمه من منطلق نوع العاطفة ونبضات المشاعر .

وإننا حين نزجر المخطئ المصر على الخطأ ونعاقب المسيء ونحذره ـ كما تبين فإننا في المقابل نكافئ المحسن المتميز ونشجعه راجين أن يستمر في التميز وفي الفوز في المسابقات الإبداعية المقبلة إعلاءً لشأن نفسه وضمنيا لشأن مجتمعه ووطنه . وقياداتنا لا تدخر جهدا في إقامة الحفلات بصفة دورية لتكريم المبدعين. والسيدة الفاضلة سوزان مبارك لها نشاطاتها العريضة في مجالات تكريم المنتجين والمبدعين ودعم نفسية الأطفال ذوى الحالات الخاصة ـ بالتشجيع والحنان والرعاية والإعاشة الكريمة ـ وتشجيع الأسر المنتجة أيضا وذوى الدخل المحدود على تسويق إنتاجاتهم وموالاة إبداعاتهم وابتكاراتهم الفنية وإقامة المشاغل والمشروعات الصغيرة للنهوض والارتقاء بمستواهم المعيشى .

وإن طعم الفرحة بالجائزة لهو أمر عظيم الأثر في النفس لا يدركه إلا المتفوقون والأوائل الذين بذلوا الجهد ثم وجدوا النتيجة والتقدير .

وإن القراءة وتحصيل العلم بالنسبة للأطفال والطلائع هى أسس لابد منها على طريق الإبداع العلمى والفكرى والفنى .. وإن إقبال الصغير على التعلم وحب التحصيل الدراسى هو هدف عزيز المنال يتيسر بمنحه الجوائز وحفزه على طريق التميز .. سيقال كيف ذلك ؟ .

والفكرة المقترحة تكون كالآتى :

- على الأم في المنزل أن يكون لديها بعض القطع النقدية من فئة العشرة قروش ومن فئة الخمسة قروش وكذلك من فئة الربع جنيه .. تخصص هذه النقود لمكافأة ولدها ـ أو ابنتها ـ عندما يستجيب لتعلم شيء من العلوم أو

المهارات الإبداعية ـ فالذى يجيد الفهم في أمر ، أو ابتكار فكرة يمنح قطعة نقدية من فئة العشرة قروش ، ومن لا يجيد ذلك له قطعة من فئة الخمسة قروش على أن يعيد المحاولة ـ أما الذى يتفوق فوق ما هو معتاد ـ في المدرسة أو في البيت ـ وفي مجال النظافة والنظام في البيئة المحيطة أو في مجال موسيقى كأداء نشيد أو في مجال الحكايات (الحواديت) أو تلخيص قصة أو بيان فكرة ـ فله قطعة نقدية من فئة الربع جنيه كمكافأة .. وكما أن من يدخر نقودا أكثر في الحصالة له مثلها منحة وتشجيعا .

- وهناك جوائز لكل من يدخرون من الناس نقودا في المصرف « البنك » فالذى يترك نقوده ـ للتوفير أو الاستثمار ليقوم البنك بتشغيلهل له فله ١٠٪ أرباح سنوية أو أكثر .. ولو أن هناك من يقول إن تشغيل الأموال في مشروعات مدروسة ومخطط لها كما ينبغى يمكن أن تربح أكثر لو أن صاحب المال قد أدارها بنفسه ـ ولكن عدم الخبرة تدفع بالمدخر أن يميل إلى جانب السلامة ويودع أمواله في ـ البنوك ـ بدلا من المخاطرة في أسواق التجارة .
- وهناك جوائز من المصرف أيضا تأتى مصادفة لبعض المدخرين بالحظ قد تصل إلى مائة جنيه أو ألف جنيه أو أكثر وهذه لا تسمى جوائز علوم أو فنون أو إبداعات أو اختراعات أو لأعمال عظيمة ، ولكنها مصادفات عشوائية ، بل إنها تساعد على اتكال العقل وإضعافه وتعلقه بالأوهام والأحلام ولا يجب أن نسميها جوائز ـ لأن الجائزة هى التى تقدم اعترافاً بجهد إنسان صاحب إلهامات إبداعية قد أبدع فكرة أو نموذج أو اختراع يبنى به وطنه ويعلم العالم .

وبعد فما أروع الجوائز وما أجمل النجاح والتفوق : « مبروك أنت قد نجحت ترتيبك الأول .. لقد فزت بالجائزة .. الكأس .. النجمة الذهبية .. تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف .. اسمك في لوحة الشرف .

كلٌ يريد أن ينال الجائزة ويتمناها ويحلم بها ، ولكن الكسالى ليس من حظهم إلا الجمود في أماكنهم .. في الصفوف الأخيرة .. مجرد عدد لا وزن له .. فهل ترضى أن تكون بلا قيمة ؟ إذاً اندفع نحو النابهين النابغين في حلبة ـ مجال ـ

السباق والمنافسة بالعقل .. بالفكر .. والإبداع .. وسباق الجوائز مع العظماء .

على أن هناك موجة من الجوائز الغريبة الجديرة بالمتابعة والبحث لخطورتها هى المسابقات التى تخص أنواعًا من الحلوى للأطفال والكبار قد تعددت أشكالها وألوانها .. فهذا بسكويت بالشيكولاته ورائحة الفواكه ، وهذا جيلى ، وتلك أنواع من المياه الغازية ، وكلها تحتوى على مواد سكرية ذات تركيز عال وبإضافات كيماوية وألوان صناعية ومغلفة بطريقة جيدة ذات ألوان تجذب المشترى من الصغار والكبار أن يشترى منها .. والمشترى يدفعه حب الاستطلاع والترقب أن يشترى منها طمعا في الجوائز التى تتضمن بعضها حسب المصادفة.. وتكون الجوائز هى عبارة عن نفس الصنف مما يؤكل أو يشرب ، كما أن هناك احتمالا لوجود أوراق نقدية بأكياس الحلوى أو المملحات مما يغرى الأسرة بأفرادها على الشراء ـ ويقوم التليفزيون بدور خطير كوسيلة إعلامية ـ فيشد انتباه الأطفال فيندفعون إلى الشراء كل ساعة للمزيد من الأكل والشرب ـ وليت تلك الجوائز كانت كتبا أو آلات موسيقية أو كراسات أو قصص مسلية لإشباع العقل بدلا من إشباع البطن .

والآباء والأمهات عادة ما يستجيبون بسهولة لرغبات أطفالهم عطفا وحنانا.. وقد يحصل الصغير على عدة أغلفة من هذا البسكويت أو ذاك فيحصل على مكافأة من المتجر نفسه ـ عبارة عن علبة من البسكويت كذلك قد يلتهمها كلها في ليلة واحدة ، هذا علاوة على ما يمضغه ويبلعه من لبان وجيلى ومياه غازية وهو لا يدرى ما يمكن أن يتنظره من أضرار فيحدث له انتفاخ وعسر هضم وأمراض أخرى دائمة مثل تسوس الأسنان .. أما الأدهى والأمر أن يكون من السهل أن يصاب بمرض السكر !!.

والخلاصة : فالجوائز يستحقها الذى قد تعلم وأبدع واخترع وأعمل الفكر والبحث ـ يدفعه إخلاصه وبعد نظره وقوة الملاحظة والصدق والصبر أن أمامه هدفًا أسمى سوف يظل يلاحقه طالبا النجاح والسبق وجوائز الشرفاء المجددين وصولا لمستقبل باهر .

أساسيات الرؤية الفنية

لابد لسلامة الرؤية .. المعرفة بالعناصر ماديا ومعنويا ودورة حياتها .. المنشأ والاستخدام والتطور الصيانة والتعاملات .. ولابد من دقة الرؤية وعمق المعرفة بالعناصر كالتشريح بالنسبة للإنسان والحيوان كذلك سائر المرئيات والعمارة والتربة والفضاء والنبات وسائر العناصر والدقائق ، كذلك الأبعاد النفسية التى تحيط بعمق الشكل وكأنه كائن حى ـ كما سبقت الإشارة ـ بل امتدادات الحالة إلى معنويات وفلسفات وأبعاد تواكب العمق الفكرى الذى يواكب الدراسات العليا التى يتوق لها الدارسون والمثقفون والمتعلمون في الأكاديميات في بلادنا وفى الخارج ولولا هذه التداخلات والدراسات العميقة لما ظهرت مخترعات الطب والعلوم البحثية والمعمارية ومختلف إبداعات التصنيع والتقنيات التى نتوق لوجودها بين أيدينا وهى موجودة في أسواق أمريكا مثلا وألمانيا وغيرهما ـ وحيثما يحلق الفكر إلى أبعد الآفاق تنبثق الإبداعات وتنفتح الآفاق بالمعجزات والاكتشافات والعجائب .

وسبحان الخالق العظيم المبدع البارئ المصوّر الذى لا تخفى عليه خافية .. الذى لا يوجد عنصر أو دقائق أو بصمة تشابه أخرى أو تطابق أخرى ولا ذرة تطابق أخرى ولا وجه يطابق آخر ولا شق يماثل آخر في الإنسان أو الحيوان أو النبات أو الجماد وحتى لو ظننا أن هذه البلاطة أو السيراميك الذى يصنع أوتوماتيكيا كل واحدة تشبه الأخرى ولكن تحت المجهر لا يمكن التطابق .

كل هذه إشارات أن المبدع الخالق جل جلاله إمكانياته الإبداعية غير محدودة بل لا حدود لها ـ قدرات مهولة لا وجه للمقارنة بين قدراتنا وقدراته ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [النحل: ١٧] .

ونحن نقوم بالإبداعات بفضل الله لنستدل خطوة فخطوة ونحن نشكل العناصر التى سبق أن خلقها لنا ربنا العظيم لا شريك له لأننا لا نستطيع أن نخلق شيئا ـ ذلك كىْ نسجد له اعترافا وتسليما وشكرا فهو من قبل خالقنا بكافة قدراتنا التى أولانا إياها .

الأساس الجوهري للعمل والبناء الفنى

مثلما الحب هو بالرغبة والإخلاص ـ كما يقولون ـ ومثلما يقال عن الحب والتعاطف والمودة: إنها أمور لا تشترى ولا تباع بل تمنح بل تندفع من قلب المحب ـ هذا المحب الذى يدافع عن وطنه وعن مبادئه ويدافع عن المظلوم والملهوف وينقذ الآخرين ويفتديهم بروحه عن طيب خاطر بل بعقيدته وإيمانه ونخوته وصدقه وتجرُّده ومروءته هذا الذى قد آمن عن يقين دون أن يجبره أحد ـ فإنه لا يوجد إنسان يؤمن بأمر إلا من داخله ولا يوجد إنسان يمكن أن يعاقب بالضرب وبالسوط حتى يؤمن أو يغيِّر معبوده ،كذلك لا يوجد إنسان يندفع عن رضى ليتزوج فتاة لا يحبها وينجح فى زواجه ـ أو يتناول طعاماً لا يحبه أو يقوم ببناء بيت أو مؤسسة هو ينفر منها ، أو يقوم بزيارة أناس لايحبهم بل ينفر منهم.

وإن ذرة متناهية الصغر تسير في وريد أو شعيره أو تسكن فيها تسبب الموت لصاحبها أو نفقات باهظة في العلاج ومآسى .

وإن كسرة من حبة أرز أو ذرة رمل في الحذاء تحت الكعب أو مشط القدم تسبب ضيقا يستحيل معه إتمام المسير وإن ذرة من زجاج وسط الطعام الذى يتجهز في الفم للبلع بعد المضغ يسبب مآسى ومشاكل وهذه النملة الضئيلة التى لا تكادُ تُرى وهذه الأميبا أو ما هو أكبر منها أو أصغر ويكل منها جهاز هضمى للاستيعاب والإخراج وهى كلها لا تُرى إلا بالمجهر أو لا تُرى على الإطلاق﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد : ٨] ، ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ [المائدة : ٤١] .

إن الإنسان يسير للمكان الذى يريده أو المكان الذى يحقق له مصلحة مرجوة أو يقوم بعمل عند اعتقاده بجدواه أو يستمع لمن يرتاح إليه أو يقتنى العمل الفنى أو يقوم ببنائه عندما يرتاح إليه أو يرغبه أو يفرح به وإن أسوأ الأوقات والذكريات عند الإنسان هى أيام معيشته في المكان الذى كان يكره أو في الأيام التى قد تألم فيها وذاق الكرب أو الذل وتجرع الهوان كذلك الفنون هى للسلوى

والسعادة وهناك تواصل بين سلوى القلب وهناء الروح وبين جمال العمل الفنى والمعيشة عامة والمسكن والمكان والبيئة والجو والطريق والأمان النفسى والدفء العاطفى والأحاسيس المرهفة .. وحياة الناس مرتبطة بأماكن الخير والجمال والأمان والحب والتعاطف .

ولا يمكن على الإطلاق للأمر الذى ينفذ بدون نية وبدون (نفس) وبدون رغبة وبدون حب أن يفلح ـ مصيره الفشل والانهيار الداخلى والخارجى .

الفن صورة التربية

الانفعال .. الصورة الداخلية .. الطفح الذى يخرج هو في صورة الفنون .. كما المرء مخبوء تحت لسانه فإن الرسوم والتصميمات والخطوات والسلوكيات والجمال أو القبح أو الصحة هى انعكاسات الداخل في نفوس الناس « وكل بئر ينضح بما فيه » ـ وبحسب التخزين من السلوكيات وتفاصيل التربية التى هى الإرشادات والرعايات التى تلقاها الدارج عبر حياته ـ تكون ردود الأفعال الناتجة عنه في معاملاته هو الآخر مع الآخرين وحين يأخذ زمام المبادرة والمسئولية تجاه الأمور ، والذى درج من أمّ عظيمة التربية والسلوك والقدر وأب كذلك ممتاز سوف يكون بالتالى بمستوى تربوى ممتاز ومفكر ومبدع ومسئول ومفن وبمستوى راق لا تمر الأمور من بين يديه أو من ثنايا أفكاره وعقله إلا بذات المستوى والمسئولية التى قد سبق وتجهز من خلالها .

أهمية القدوة والعدوى في مجالات التربية الفنية

بل إن القدوة في سائر المجالات شيء حيوى وواقع ومكرّس فى الأسرة ، وفي الشارع عندما يكون المثل والقدوة من شخصية بارزة كالمحافظ يقوم بكنس الشوارع أو الوقوف فى طابور أو نحو ذلك فإن العامة يقتدون به ، وإن امتنع الأب في البيت عن التدخين فإن ولده المدخن لا يجد مفراً من الامتناع عن ذلك وإن نظافة المكان تجبر العابر أن يحترم هذا الشكل الجميل فلا نسيء إليه ، وإن المكان المستهدف أن يكون به القمامة يزداد إقبالا وتكالبا من القمامة من هنا وهناك زيادة على ما هو فيه وإن الألفاظ السيئة تشجع السامع أن يزيد منها وإن الألفاظ الجميلة والراقية تعلم السامع أن يقدم من عنده مثلها ويتعلم منها وإن

الصغير حسبما تكون بيئته التربوية يكون تعليمه ومعطياته وتكوينه ، حسبما تكون مكونات العجينة يكون شكل الخبز وطعمه ومقدار فائدته .

التربية الفنية والسلوك

الأمر واحد هو إكساب الدارج القدرة على تصميم وإبداع الجمال في العمل والشكل الفنى ـ ويكون الأمر والهدف واحد .. إبداع الجمال اللفظى فى الإنشاء والمقال والكلمة كذلك في تصميم المنشآت الفنية والرسومات والمشغولات الجميلة ـ كذلك فى السلوكيات والمعاملات الفاضلة الراقية ـ ولا يعقل أن يكون المبدع على المستوى الممتاز فنيا في تصميم وتنفيذ الجمال في مجال التربية الفنية ثم هو دجال ونصاب وسارق الناس حقوقهم وبذيء اللفظ وكريه السلوك فإن كان كذلك فأى جمال هذا ، والمقصود هو الجمال عامة ينتشر في كل مجال وأن يطبع الإنسان من داخله على الجمال وينطلق من نفسه نبع الجمال ليدل عليه فيكون خامة طيبة وإنسانًا وفنانًا شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ويكون الأمر هو تربية فنية .. تربية وتعليم حضارة ومجد ودولة وتراث وافتخار .

العمل الفنى والبيئة

نحن حين تحقيق تصميم وتنفيذ أعمال الأشغال في التربية الفنية فنحن نولف خامات مما هى حولنا في البيئة الموجودة سلفا عناصرها قبل أن نولد لأننا ـ بلا شك ـ مولودون في البيئة وندرج فيها ونعيش فيها ونموت تحت أرضها .. هذا هو قدرُنا ـ فنحن نشكل ونجهز التصميمات الجمالية والصناعية والابتكارية من ذات الخامات الموجودة تحت أيدينا ونحن ندور في فلك البيئة ونرتّبها ونجملها وننظفها ونجهزها ونرتقى بها ونتنافس مع الآخرين ونسبق لنفتخر بأنفسنا ونفتخر بملكيتنا لها لأنها تدل علينا وندل عليها ونرتقى بها لترتقى بنا وننتقى منها لنسمو بها وتسمو بنا .. وذلك بإعمال الفكر ـ العقل ـ الخيال ـ الابتكار ومعطيات الخلق والتجديد من داخلنا وكل منا يفتخر على الآخرين بأنه أقدر فكريا وعقليا وأرقى .. وهو الذى صمم هذا النموذج وهو الذى قد أبدع وهو الذى قد اخترع وهو المتفوق السباق . فلا مناص لنا عن البيئة .. نحن مرتبطون

بها وهى مرتبطة بنا لا مفر .. إذا كانت سيئة قبيحة الصورة أو جميلة ومبهرة .. هى صورتنا وهى الدليل علينا .

والإنسان ذو قدرة عظيمة على توليف وتجميل البيئة من حوله ـ ولديه قدرة وولاية على التأثير في النبات في تجهيز بيئة النبات ليزدهر وتنظيف وتجهيز بيئة الحيوان أو الطير حيث لا يستطيع النبات والحيوان ككائنات حية أن تقوم بالتأثير على حالة البيئة فيها إلا نادراً جداً .

الأشغال الفنية الصغيرة والكبيرة

الأشغال الصغيرة والتكوينات البسيطة البدائية تبدأ بالخيال والكروكيات ـ كما هو معروف ـ ويظل التعديل في التصميمات حسب استحداث الابتكارات والرؤى التى تتجدد لحظة بعد لحظة .

ونحن نرى الكاتب يكتب النص ثم يعدل فيه بعد أن ينتهى منه ثم يذهب ليستريح أو ينام وإذا به يهب من رقاده ويغير كليا في النص أو جزئيا مرة ومرة ومرات وهذا فى حد ذاته أمر حيوى عظيم القيمة يدل على حيوية الفكر المتقد وغزارة الانفعال وحيوية العطاء الفنى .. حتى يصل الأمر إلى كمال الاقتناع والاطمئنان إلى تكامل التكوين الفنى للنص فيجهزه للطبع ـ كذلك التربية الفنية والخيال والانفعال والكروكيات الوليدة .. التى تكبر وتتبلور شيئا فشيئا ولا بأس أن تكون هناك أوراق عديدة لتصميمات كثيرة لنفس الفكرة مطورة كل منها أنضج من سابقتها ويشترط طبعا كما سبقت الإشارة قبلاً غزارة واندفاع الانفعال والإيمان بالأمر دون الافتعال ودون الإجبار أو التَصنُّع أو الخوف أو الإملاء ـ فإن هذه الأعمال والتصميمات العظيمة النظيفة الصافية هى جواهر يعتد بها وهى سلم لعمل الماكيتات والمخترعات والتصميمات .. هى نفسها تصميمات المشروعات الكبيرة والمنشآت الضخمة ـ كانت في الأصل إرهاصات كروكيات خيالات وأفكار وتصورات وافتراضات وماكيتات ثم مقايسات ومشروعات ضخمة تقوم عليها الحضارة والاقتصاد القومى .

الأستاذية في الأعمال الابتكارية

نعلم أن هناك ما يسمى بالوسائل التعليمية وفى التربية الفنية يلزم هذا المجال

للإشارة والتوضيح .. نماذج أبدعها من سبقوا .. أمثلة تحتذى .ز مبهرة تساعد على انبثاق الإلهامات والأفكار وخيالات الإبداع .. ينظر المتعلم فتتبلور ملكاته وقدراته ومعطياته الفنية حيث تساعده هذه الأمثلة على التفكير ومنافستها وإبداع الأفضل والأجمل فيقول في نفسه : « أنا قادر على تقديم أفكار أفضل بكثير » كذلك يقدم له أعمال المبدعين كأمثلة من دول أخرى - ومبدعين عالميين ليشاهدها ويناقشها مع أساتذته ويشاهد المعارض من هنا وهناك - بل ويقدم ما لديه بعد ذلك من أعمال ويقيم بدوره المعارض ليرى الناس منه قدراته العظيمة فترة بعد فترة ويزداد نموا شيئا فشيئا .

ولابد من الانطلاق بالفكر اللانهائى ، لأن الفكر التقليدى كالأمر « محلك سر » خمول وركون إلى الظل وإلغاء للعقل والسير في ركاب عقول وأفكار الآخرين دون النظر فيها سيئة أو حسنة ليس المهم هو التقوقع والرضا بالعمل التجارى التقليدى الخامل والرضا بالتفاهات ولكن المهم الفكر والانطلاق فوق مستويات الرتابة بل وتحمل المسئوليات والتحليق في آفاق السمو ورحابة اللانهائية والبحث العلمى الذى يواكب الاختراعات والتقنيات وبحسب الإسراع فوق مستوى الجمال إلى الإبهار إلى الجديد .. التجديد .. الاختراع .. الابتكار .. الخلق .. الإبهار .. هى أمور السبق أما التقليد والرتابة هى أمور محلك سر ثم إلى الوراء والتخلف مع الكائنات الأخرى مما قد تحدثنا عنه .

ويجب تبيان الفكرة والوسيلة والأمثلة للطالب فى وقتها - فكثيرا ما يكون الطالب مشغولا بأمور شخصية أو سيكولوجية أو طوفان زحامات فكرية واجتماعية وأسرية وظروف خاصة بل يجب انتقاء الطلاب ذوى الاستعدادات الخاصة والمواهب القادمة .. ويجب الاهتمام بالكاركاتير والكروكيات والخطوط التى تواكب الخيال والألعاب وردود الأفعال ، ومرة أخرى حذار من ممارسة الفن بالظلم ولوى الذراع والسخرية من الطالب والاستهزاء به لأنها ليست عملية ميكانيكية تقليدية تمارس كالتعليم القديم بالعقاب والكرباج والمقرعة والوجه في الحائط .. إلخ . تلك الأمور التى تنزع الإبداع من الفكر وترسخ الحقد ومعطيات العقد النفسية والرغبة في رد الفعل والانتقام.

والجمال لا يختلف عليه اثنان .. يرتاح الناظر للوجه الأجمل والصورة الأجمل والطبيعة الخلاقة مثلما يرتاح الإنسان حين يتنسم الروائح الذكية وينفر من الروائح العفنة - مثل السعادة بالأصوات الرخيمة والنفور من الأصوات المزعجة مثل السعادة واللذة حين ازدراد الطعام الشهى والنفور من سواه .. والتربية الفنية هي صنع الجمال وهى التربية الاختيارية تنمية قدرات وأحاسيس الاختيار الأفضل .. الأجمل .. الأروع .. اللطف .

Master Pieces

لا خلاف على الـ Master Pieces

الأعمال العظيمة .. قمة تفوق قطعة أو عمل على سائر أعمال أخرى مجاورة أو مواكبة أو مشابهة .. هناك مجموعة تلاميذ وهناك أحدهم يتفوق عليهم .. هناك أساتذة يتفوق أحدهم بعنصر في شخصيته أو معلومات أو قدرات خاصة عبقرية .. العمل الخاص الذى يلفت الأنظار ويبهر ويثير الإعجاب والرضا والاقتناع دون سواه هو الـ Master Piece - وكلنا ميالون للتفوق المطلق - عندما ينفذ أى منا العمل أو المشروع أو الأمر لكى يسير في طريق الـ Master Pieces التفوق المطلق ، لابد من حسن الاستعداد للأمر والبيئة الراقية وعدم وجود الانهزامية أو التدنى الشخصى أو الذى يحيط بالمنفذ وذلك في أسرته ومن داخل قدراته وعزائمه كما لابد من حسن إعداد الفكرة والانفعال لها ومذاكرة كل الظروف من حولها والثقة في نجاحاتها والاستمرارية في التعديلات للفكرة حتى الوصول إلى الـ Master Pieces .

مرة أخرى Master Peace

القطعة الفنية ذات السيادة والتفوق بمعنى المتميز بكامله ١٠٠٪ شيء يفرض نفسه .. يعلن بفخر عن نفسه .. يعتلى القمة من أول لحة .. عمل مشاهد أو مسموع .. مصور أو مجسم .. عمارة أو مركبة أو حديقة أو إنسان أو حيوان أو مفروشات أو منشآت بشكل عام .. شيء نادر لكنه المستهدف .

فنحن نعيش للجمال ومن أجل الجمال وفى ركب الإنسانية الراقية والمجتمع الفاضل الجميل الغنى العاقل المسالم نحن نبغى أن تكون إنتاجاتنا كلها Master

Pieces لكن الغالبية تكون عادة أقل في القيمة - والعيب أن تتدخل المحسوبية المغرضة لتصنع منها لآلئ وجواهر ليصفق لها الناس وهى لا تستحق .

دعامة الأداء الإبداعى

إن الأساس في أمور الحضارات هو تناول المعلومات .. الثقافات .. التعمق في أمور المعرفة .. القراءة .. فإن كنا نهتم برسائل الدكتوراه والبحث العلمى فإنها تقوم على القراءة وكلما ازداد العقل بالقراءة معرفة كلما ازداد الخيال توقداً والفكر ارتقاءً وشعر الطالب أكثر بقيمته وجوهره .. ولا عجب فإن التعلم سنة بعد سنة يرتفع بقيمة الطالب من الابتدائي إلى المراحل الأعلى حتى الدكتوراه ينفق من عمره وزهور شبابه غير آسف على شيء وإن الجاهل المتدنى المستوى هو من لا يحصّل شيئا ويظن أن شبابه يساوى ويوزن .. مع أن الوزن هو العلم ، فالعلم كرامة وزعامة ودعامة الحضارات ولا أعتقد أن هناك Master Pieces بدون علم وبدون قراءات وبدون درجات علمية مثلما لا توجد حضارات أو عصور أو نهضات إلا بالعلوم والقراءات ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمْ ﴾ ولا توجد فنون بدون ثقافات وقراءات ولا مكتبات ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] ومع ذلك نحن ننهل من كنوز العلوم والفنون والآداب والثقافات والاختراعات التى لا تنتهى .

وإن كان التعلُّم بالمدارس والمعاهد والجامعات أساسه القراءات في الكتب ، ومحو الأمية هو بإجادة القراءة والكتابة فإنى أقول كما هو يمكن أن يكون معروفًا الآن إنَّ محو الأمية هو بالحصول على شهادة جامعية بتقدير جيد ولا أقل من ذلك - أما المخترع أو المفكر فلا أثق فيه إلا بالحصول على درجة الدكتوراه وتزيد عليها ، وعلى قدر القراءات والاطلاعات يكون سلم الفكر قد ارتقى إلى إلهامات الإبداع وتطلعات الإلهامات والبحث العلمى ، فلا يوجد إنسان محدود النشاط الفكرى ويخترع .

ومن كثرة العلوم والمعارف الآن فإن درجات الدكتوراه تواكب ما كان في الماضى يسمى بالليسانس - ودرجات الدكتوراه هى أساسيات لدى صاحبها

ليقرأ ويطلع على الأرقى من المعارف ـ والشرط الجوهرى أن يكون الاطلاع وأمور القراءة بحب ورغبة وبهدف وباندفاع وبشغف لتحقيق الاكتشافات ـ أما أن يكون الأمر للاستظهار والحفظ الآلى ليمتحن وينجح أو يصادفه النجاح فهذا ليس بتعلم بل يسمى أمر مصلحة أو مستندا شكليا ليقوم بالنصب والتحايل على الناس بمقتضاه ولذلك فالمتعلمون الشكليون النصابون كثيرون من حولنا .

النظرة العامة والفاحصة

عنوان واضح ومفهوم ، فعند وجود أمر أو وجود قضية يلزم فهمها وماهيتها وهويتها بعنوانها ونظرة عامة فيها .. عابرة من الرائح والغادى ومن يمرون مرور الكرام ـ أما الطبيب المعالج للمشكل أو القضية أو الأمر المنوط بالمسئولية فستجد أنه لا يعبر أو يمر ولكنه يتقدم ويواجه ليتفحص ، وهنا يلزم أن يكون دقيق النظر والفكر للأمور القريبة والبعيدة ويحسب حساب سائر الاحتمالات والطوارئ والمواقف والمفاجآت ولابد أن يكون من فيض خبرته أستاذاً محنكاً فهو أقوى من عناصر القضية لا يهزه أو يشتته شيء من فرعيات فالكل فيها تحت نظره وسمعه وفكره وسيطرته وكل مفاجأة بعيدة محسوب حسابها وهو أقوى منها ، والملعب كله في يده .. وكلما زاد علمه وخبرته زادت أستاذيته وحنكته وإلا فسوف يظهر في الساحة من هو أقدر منه وكلٌ يأخذ مكانه .. يتراجع هذا ويتقدم الجامع المانع القائد والزعيم وهكذا الفنان وممارس التربية الفنية .

كل الأمور تربية فنية

ونظل نزيد ، فإن كل الأمور الحياتية في المجتمع هى تربية فنية .. رسم الكلمة والسلوك والمعاملات في المنزل وتجميل الأمور والملابس « والديكور » والأشغال اليدوية وسائر العناصر التى قد جهزها الله سبحانه لنا من قبل أن نولد ـ كما قلنا من قبل ـ هى فنون « تربية فنية » . سلوك فنى ، كل منا يتعامل بالفن لا محالة بحسب خامته التربوية يؤثر في الفن ويؤثر فيه الفن .. يعالج سلوكياته التى هى التربية بالفن .. بممارسة الفن .. فيتهذب وترق مشاعره

ويتعامل مع الجزئيات والجماليات ويتعدد التنسيق والترتيب وبعد النظر والقدرة على الاختيار وحسن الاختيار والمسئولية عن طريق الممارسة الفنية كذلك بعد النظر والأثر والتأثير ودراسة الأمور المحيطة والارتقاء بالبيئة من حوله والسبق والمنافسة في الأمور الجميلة الفاضلة الثريَّة فيرتقي بنفسه ويسمو بكرامته ويدرك قيمة المعنويات والتجرد والروحانيات وإنسانية الإنسان ، وتنمو لديه معطيات الحدس والإحساس والإلهام والآفاق المبهرة .

مسئولية المرأة

المرأة مسئولة عن الجمال في الدولة .. شيء عجيب ولكنه حقيقة .. هى التى تربى بعد أن تقدم وليدها .. هى التى تجهزه ويرث منها جل القيم والمثل والطباع والسلوك والعادات .. هى التى تلقنه دون أن تدرى بدايات دروس التربية الفنية .. النظافة .. النظام .. المثل العليا .. الترتيب .. الاختيار .. التجميل .. الأناقة .. الكرامة .. الصدق .. ما ينبغى ومالا ينبغى .. السلوك .. التربية ، وبحسب ما قد اكتسب منها الصغير الترتيب والتجميل في البيت هو يخرج إلى بيته التابع وهو الشارع ويوجه نحو تجميله وترتيبه فهو شارعه وطريقه وبعلاقاته مع الآخرين كلٌ يقوم بواجبه لتجميله وتنسيقه وترتيبه فهو أمر ملكهم ويعنيهم مثل بيتهم ، بل إن المرأة يجب أن تخرج بأولادها لتجميل الشارع مع نساء المسئولين في الدولة كقدوة وسيكون هذا سلوكا وعدوى جميلة جمال في جمال .. رسم وأشغال !!.

ونحن لم نتعود على هذا الالتزام فى بلادنا فقد رأيت بنفسى امرأة تسير في الشارع وإذا بها (تكرمش) قطعة ورق مهملة في كفها ثم تلقى بها فى الطريق بغير اكتراث ـ وإن الالتزام ليس بمستحيل ولا تكون التوعية بشأنه بالإعلانات أو بالتليفزيون بل « بالقدوة والعدوى » يخرج البعض ينظفون وينسقون ويرتبون فيجد الباقون أنفسهم دون أن يدروا يفعلون السلوك الجميل الملتزم ـ إنه العمل التعاونى الجميل المفطور عليه الإنسان وينتظر الشرارة .. أقولها مرة أخرى لابد أن يبدأ المصلح بنفسه .. يفك قيود التردد والتميع ويندفع إلى الخير بل والموقع الكريم كقائد وسيجد نفسه رئيسا فى هذا المكان ، وهكذا تكون الزعامة تولد

وتتجدد .. وإن الأنانية والتقوقع هى أمور الجبن والتخلف والخيانة للبيئة للوطن كالمثل المشهور عن راكب السفينة الذى لا يأبه بالعطل أو الكسر فى قاعها لأنه ليس بموقعه منها ، ولا يعرف أنه بعد لحظات سوف يلحقه الهلاك .. أقول: إن المرأة منوطة وفى الأصل مسئولة ولها شرف الزعامة .

وتجب في الدروس والمناهج المدرسية مواد علمية منذ حضانة رياض الأطفال للخروج للشارع للنظافة والنظام والترتيب والتجميل والتنسيق والزراعة وتوصيل القمامة لأماكنها حتى يكون الأمر مع توالى أيام العمر ـ جزءًا لا يتجزأ من طبع وسلوك التلميذ كتربية فنية وكعلاقة مع البيئة وكأشغال ورسم أرحب من مجرد ورقة الرسم فهو يصور على الواقع ويجمل وينسق في الواقع ويتعلم المسئولية بيديه وفكره ويتعود التعامل مع الواقع ويعرف قيمة العمل والجمال والوطنية كعمل قومى عظيم ويشترك الأمهات والآباء .

هذه أمور ممكنة ومثمرة وليست مستحيلة بل واردة وممكن تنفيذها فوراً وأتعجب لماذا لا تنفذ؟ ـ إن التربية الفنية مسئولية المرأة ـ وإن أعظم مادة ممكن أن تتولاها المدرسة هى التربية الفنية بالكيفية التى ورد توضيحها .. لأن فى كل بيت تلاميذ وفى كل شارع مئات التلاميذ بل الآلاف فلماذا كل تلميذ ينشغل بغرفة الدراسة فى المدرسة ويختبئ بين ثنايا الكتب رغبة ولهفة على مجموع الدرجات لينتهى به الأمر إلى بطاقة في وطن لا يعرف فيه معنى الحب والتفاعل والانتماء .. كل ما يشغله نفسه فقط حتى يموت لا علاقة له بذويه ولا بمواطنيه ولا بالبيئة من حوله .. مواد دراسية جامدة لا تؤدى إلى فكر أو خيال سوىّ أو ابتكار أو تجديد أو تنمية أو إلهامات أو محبة .. بل يخرج إلى الحياة إنسانا سيكوباتى معقد لا يصلح لنهضة أو قدوة أو حضارة أو دفاع عن الوطن بل تخلف اجتماعى كما يريد أعداء الأمة .

إن البداية للحضارة والنهضة الاجتماعية هي المرأة والشارع .. المناهج تبدأ من التربية الفنية من الشارع بقيادة المرأة مع المنهج لتنسيق وترتيب وتجميل الشارع .. لنظافة ونظام البيئة كعمل قومى .. وما أكثر الأعمال القومية عندنا .. بداية بالنهضة .. التربية الفنية هكذا .

وليكن الجميع مسئولين عن الجمال وعن معطيات التربية الفنية كسلوك وتربية وطبع وفطرة كالتنفس ونبضات القلب .. حينما ينظر الإنسان فهو مسئول عن نظافة مكانه وملبسه ـ وليست أمه فقط ـ أو زوجته ـ هو مسئول ومنوط ومعنى بالبعوضة تطير وتطن فوق أذنه فهو يدفعها ويبعدها ويحاول قتلها وينظف المكان منها حتى لا تلدغه مرة أخرى أو تلدغ سواه كذلك هو يبعد الذبابة ويجرى ليحارب الفأر والفقر ويجرى لينسق المكان ويرتب وينظف نفسه ويلمع ويدرك العلاقة بين هذا الجزء من الأثاث وذاك .. ولا ينتظر أن يأتى من يأتى ليرفع هذه القمامة أو تلك الورقة من البيت أو الشارع بل هو المعنى لأنه هو الذى أمام المشكل لأنه صاحب الأمر ، ما ذنب الصغير الذى لم يتعلم هذه الأمور ؟ والذى علمه الكسل والتواكل والتقوقع والجبن والتراجع للصفوف الخلفية إنها أمه .. والمرأة مع بنات جنسها يستطعن إجبار الرأى العام والدولة على تنفيذ المنهج حسب ما قد سبق .

وينبغى أن يكون هناك موجهون ومرشدون شرفاء وجوائز ومنافسات وكاميرات التليفزيون ومايكروفونات الإذاعة والدعاة عن أجمل الشوارع وأفضل الأنشطة .. وكلها نشاطات عظيمة ويُشجِّع الجميع ويُكرم الجميع والجميع سوف يكونون في المقدمة .. لن يكون هناك كسل من أحد لأنها أعمال مُقْنِعَةٌ تؤتى أكلها ونتائجها فوراً على الواقع ، والذى ينظف سوف يعز عليه أن يضع قمامة مرة أخرى .. والذى يزرع سوف لا يقوم بالقطف أو البعثرة أو التهريج أو الإساءة للبيئة أو الإضرار بممتلكاته بل سيدافع عن موقعه وبلده ووطنه وسيفكر في إنشاء المشروعات والتنمية لنفسه ووطنه ومواطنيه وعلى الدولة أن تنقى الإجراءات التى تتم من مساوئ الارتجال والروتين والسلوكيات المكتبية المغرضة والظلم والإسفاف لأن التلميذ الدارج هو النبتة الطيبة التى سوف تبنى المستقبل والحضارة وترتقى بالأمة وتنافس وتسبق .

التربية الفنية فى كل بيت

نعم . والمعارض الفنية فى كل مكان فى البيوت فى المساكن .. والفنانة الأولى فى كل بيت هى المرأة . صاحبة البيت .. صاحبة هذا العالم .. نزور بيتها

ومن النظرة الأولى نحكم على أن المرأة التى تسكنه فنانة عظيمة أو هى دون المستوى ، وذلك من شكل المعروضات والمفروشات والإطارات والصور والنماذج المنتشرة هنا وهناك وعلى الحوائط وفى الأركان ، والمعلقات المدلاة من الأسقف ـ ومستوى النظافة والروائح والنماذج والتُحف والألوان والأضواء والأزياء ـ حتى البيوت المصنوعة بالطين (وهى نادرة الآن بمصر لارتفاع مستوى المعيشة) ـ فيها المعارض والأذواق الفنية .. والمرأة المزخرفة ذات الحس المرهف هى التى تسمو بالتربية الفنية .

هذه المعارض الفنية ـ كما تقدم ـ تُنظَّم لها الزيارات الدورية والتوجيهات من لجان نسائية للتوجيه والتقويم والتقييم ثم التصفيات بعد المنافسات والمسابقات لأحسن معرض وأحسن منتجات فنية ويذاع بالتليفزيون الأسماء والمناظر وترصد الجوائز وليكن الحس الفنى شاملاً فى المدارس كما هو بالشوارع والبيوت ولدى العامة فنحن أبناء وعائلات عامة الناس هُم منّا ونحن منهم .

فليس الجمال والتربية الفنية فى المدرسة فقط ، والبيت منفصل عن الذوق والفن .. كيف ذلك ؟ فلا خصومة بين العامة من الناس وبين الخاصة بالمدارس.. فأنا من التربية الفنية بالبيت إلى التربية الفنية بالمدرسة كلنا فى سفينة الفن والجمال والعلم ، ولا علم بدون فن .

نظرة إلى المخلوقات من حولنا

هذه الأمم من حولنا التى هى أمثالنا .. أمم القطط والكلاب والحمير .. وتلك التى كانت فى الأزمنه الغابرة كالديناصورات .

وطبعا لن أستطيع ـ أنا وأنتم ـ أن تتفضلوا بإحصاء الأمم هذه ، سنتعب كثيراً ونحن نسرد الأسماء ولن نصل إلى آخرها أبدا ولا أى إنسان في العالم .. الحشرات ـ الأميبا ـ الطيور .. وسائر الحيوانات ، كل منها يعيش معيشة دون المستوى الذى يليق بنا كأولاد آدم ـ نحن فقط الذين نتمتع بالسيادة والرئاسة على الكائنات كلها التى هى سوى الإنسان ونحن نتعجب كيف يمكن لهذه الكائنات أن تعيش فى مكامنها المفزعة مثل الصراصير والفئران؟ ـ وحينما ننظر

إليها وهى في أحط مكان وهى تلوذ بحياتها ـ وهى تعيش فى طفولتها وأمومتها ودورة حياتها عامة .. لا يمكن نتصور أن نكون مثلها .. إذاً نحن على مستوى راق جدا قد اصطفانا خالقنا العظيم لنصنع المجتمع الفاضل ونتحكم فى سائر المخلوقات تلك وأولانا السيادة لنتطلع إلى ما هو قادم في الآخرة ..



الخاتمة

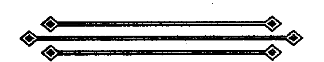
انظرُ حولى .. هذه الكائنات والمخلوقات والمتنوعة .. أمم أمثالنا تعيش معنا فى منزلنا دون إذن منا رغم أنوفنا .. النمل .. الصراصير .. الفئران .. والخنافس .. والسحالى وربما ثعابين وذباب وبعوض وربما نصرخ منها ونشترى مبيدات ونحاربها وننهزم - لا شك - أمامها بل وكائنات وفيروسات تسكن فى أجسامنا .. عجبا أتحسس رأسى وأسمع دقات قلبى وهذه الآلات الميكانيكية تعمل بجسدى ، والدفء أشعر به من حرارة جلدى ، وأنا ليس لى دخل فى شيء ، وجدت نفسى هكذا .. والدنيا وكل ما حولى هكذا .. خالقنا هو الله .. هذه الأرض والكائنات وسائر المخلوقات لم يخلقها أحد سوى الله - لم يقل أحد أنه خلقها - الله هو الخالق لكل أنواع الكائنات ولكل الإبداعات والجمال والبهاء - هو سبحانه يعلمنا أن نعرفه ونعشقه ونحبه ونسلم له هو صاحب الأمر كله فى مصائرنا وأرزاقنا وتوجهاتنا وبين أيديه حساباتنا يعلم ضعفنا وما تخفى صدورنا ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر : ٣] يريد أن يشرف آباءنا وأمهاتنا بأن نكون أقرباء الشبه بهم - مع أنهم لم يخلقونا - ويريد أن يشرفنا بالولاية على أولادنا ورزقهم مع أننا لا نستطيع أن نرزقهم فضلا عن أنفسنا .. كذلك قد شرفنا وأكرمنا بالولاية والتحكم فى سائر المخلوقات دوننا مثل الحشرات والحيوانات والطيور - وأن نحاول أن نبدع الجمال ونصنع من الخامات التى أبدعها الله سبحانه ما نصنع ، ونقيم العمارات والمشروعات ونزرع الأرض التى هو سبحانه يخلق نباتها وثمارها ونشرب الماء ونستفيد بالنيران التى قد خلقها لنا لنتمتع بها ونعتبر .

ونعمل بالفنون والرسم والأشغال والتربية الفنية لنحاول أن نخلق لنجمل العالم فهل ياترى قد وصلنا إلى زخرفة الأرض وزينتها لنقول: إننا الذى نخلق أم أننا نسلم له سبحانه التسليم المطلق بأنه الخالق لكل شيء البارئ المصور جل جلاله لا شريك له .

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ﴾ [الحج : ٧٣] ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١] .

وبطبيعة الحال هناك إعجاز منتهى الإعجاز أن تنمو جميع الكائنات كل لحظة بعد خلقها عبر دورة حياتها ناهيك عن الخلق ذاته مرحلة مرحلة ومهما حاولنا أن نشكل ونبدع فهى فقط لإثبات عجزنا المهول أمام قدرة القادر جل جلاله لا شريك له مما قد حدا بأكبر العلماء والأطباء والباحثين أن يسلموا بانبهارهم وعجزهم أمام قدرة الواحد الأحد القادر المقتدر .﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٩-٦٢]

﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣] .



المراجع

- **الأزياء الشعبية** ـ سعد الخادم ـ دار المعارف ١٩٧٨م.
- **تشكيل الألواح المعدنية** ـ أنور عبد الواحد ـ دار المعارف ١٩٨٣م.
- **الأوبــــرا** ـ د/ أحمد حمدى محمود ـ المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م.
- **علاقة الطفل المصرى بوسائل الاتصال** ـ عاطف عدلى العبد ـ المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨
- **المسرح التعليمى للأطفال** د/ رزق حسن عبد النبى ـ المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣
- **تلوث البيئة فى مصر المخاطر والحلول** ـ مبروك سعد النجار ـ المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤
- **بانوراما الفن التشكيلى** ـ جمال الكاشف ـ دار الطلائع ١٩٩٨
- **الإنسان الفنان** ـ عبد الرحمن الصديق ـ هبة النيل العربية للنشر ٢٠٠٤م
- The phiagosoply of fine art.
  Trans ly F.P.B Osmaston
  London ١٩٣٠voi. L.
- Bushman Art by Huga
  Obermaier And Herbert
  Kuhn Oxford ١٩٣٠



العلم أغلى من المال

تحصيل العلم معركة يدفع فيها الإنسان منا المال وسنوات العمر ويظل يكتسب اللغة والمعرفة .

أما الفنون فهى لغات غير مكتوبة بالحروف أو الكلمات إلا أنها ألطف وأرق وأخف وأعمق .. تلتقطها المشاعر والأحاسيس دون كلام فيدرك بها الإنسان نافورات تربوية بعيدة المدى بشكل أسرع وأسبق وأمتع .

ونحن بطبيعة الحال نرجو أن نسابق ونفاخر بمجتمعنا فنحن أبناء من حكموا الدنيا وعلّموا العالم العلم والفن والمدنية ـ ونحو مجتمع فاضل ـ وقد ورد فى هذا الكتاب المهم مساحات كبيرة من هذه المعانى والأهداف التربوية .

والله المستعان

الناشر

الفهرس

الموضـــــــوع	الصفحة